وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د

في تاريخ الحضارات القديمة

نهاية الإمبراطورية الرومانية سنة (429 م) في بلاد المغرب القديم

– إعداد الطلبة:

* سلامي خالد

* موجب سميرة

* شيهب نورية

– اشراف الأستاذ :

* حشلاف محمد

لجنـــــــة المناقشـــــــة

الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة
شعلال اسماعيل	أستاذ محاضر ب	رئيسا
حشلاف محمد	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا
لورتان بختي	أستاذ محاضر ب	مناقشا

السنة الجامعية 2021–2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

بسم الله الرحمان الرحيم ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الحمد لله الذي انار لنا درب العلم والمعرفة واعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا لإنجازه، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **"حشلاف محمد"** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة والذي كان عونا لنا في إتمام هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة عملنا.

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية قسم التاريخ

و لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل.

مقدمة

مقدمة :

يعتبر تاريخ بلاد المغرب القديم بصفة عامة و الاحتلال الروماني له بصفة خاصة من بين المواضيع التي لم تتضح معالم دراستها بعد بصورة دقيقة، وهذا راجع لطول الفترة الزمنية لهذا الاحتلال الذي ترك اثاره الواضحة من خلال انجازاته العديدة و الهادفة لترسيخ وجوده، فما إن تتوفر منطقة ما على موقع استراتيجي و خيرات طبيعية تصبح محل أطماع الدول المجاورة، هذا ما ظهر من خلال الصراع القرطاجي الروماني و خاصة في القرن 3 ق م الذي انتهى بتدمير قرطاجة سنة 146 ق م ، و ألحقت روما مملكة نوميديا لتدخل بلاد المغرب حقبة استعمارية امتدت من 146 ق م إلى 429 م، لينتهي وجودهم بمقاومة لهم بعد خوض العديد من المعارك و الحروب ابتداء من يوغرطة ، مرورا بتاكفاريناس ، وصولا الى جيلدون و أخيه فيرموس.

تتفق معظم الكتابات و الدراسات التاريخية أن أحداث النصف الثاني من القرن الرابع و بداية القرن الخامس للميلاد كانت محطة حاسمة في تاريخ بلاد المغرب القديم عموما و تاريخ الإمبراطورية الرومانية خصوصا ، حيث شهدت أحداث و تطورات عجلت من سقوط الإمبراطورية التي سيطرت على العالم المتوسطي لحوالي ستة قرون ، وقد مست هذه الأحداث أغلب مقاطعات الإمبراطورية في بلاد المغرب القديم ، وفي كل المجالات – سياسية ، عسكرية ، اقتصادية ، اجتماعية ، دينية – حيث ضعفت السلطة الرومانية ، و اشتد الصراع بين القادة الرومان وسكان بلاد المغرب القديم الرافضين للاحتلال و الناقمين عليه ، فتناطحت الجيوش فيما بينها و تزايدت الضغوطات على حدود الإمبراطورية ، فتزايدت الثورات و التمردات داخل أقاليم المقاطعات ، مما أدى إلى انعكاسات تباينت بين الايجابية و السلبية على الطرفين ، كفقدان الرومان السيطرة على الكثير من الأقاليم ، فتراجعت سيطرتهم ونفوذهم ، هذه التطورات و أخرى أدخلت الإمبراطورية الرومانية في فترة حرجة من تاريخها ، حيث اعتبرت بمثابة بداية النهاية للإمبراطورية و الدولة.

و قد شكلت الفترة التاريخية الرومانية (146 ق.م- 429 م) ببلاد المغرب اطارا زمنيا لبحثنا، الا اننا خصصنا النصف الثاني من القرن الرابع و بداية القرن الخامس كفترة لهاته الدراسة التي تتماشى و طبيعة الموضوع يبرزها حرصنا على رصد تطورات الاحداث لبلاد المغرب بجميع مراحلها و مساراتها فترة بفترة – اي – متخذين تسلسلا زمنيا للموضوع من بدايته الى نهايته.

أما مكانيا فقد شملت المساحة الشمالية للمغرب القديم من الساحل حتى الصحراء و من حدود برقة شرقا الى سواحل الاطلسي غربا اطارا مكانيا لبحثنا ، فمنذ سقوط قرطاجة في يد الاحتلال الروماني و استلائه عليها واستقراره بها عام (146 ق.م) توسعت رقعة انتشاره عسكريا بالتدريج شرقا نحو الحدود المصرية الليبية ، و غربا الى سواحل المحيط الأطلسي ، أما جنوبا لم تتجاوز وحداته حدود الصحراء على مسافة (800 كلم) من الشمال الى الجنوب كأقصى تحديد أحيانا باتجاه الداخل المغاربي.

وللإحاطة بالموضوع ومعالجة جميع جوانبه، نثير جملة من التساؤلات التي سنحاول الإجابة عليها في سياق الدراسة و كانت في مقدمتها الاشكالية الرئيسية :

*ما هي أسباب نهاية الامبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم ؟ و ما هي الاثار المترتبة عن هذا الانهيار ؟

و تندرج تحت هذه الاشكالية عدة تساؤلات فرعية متمثلة فيما يلي :

*ما هي أهم الثورات التي أدت الى انحطاط الامبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم ؟ و هل كانت هذه الثورات حقا سببا في انهاء وجوده في المنطقة ؟

*فيما تمثلت انعكاسات أحداث النصف الثاني من القرن الرابع و بداية القرن الخامس للميلاد على سكان بلاد المغرب القديم ؟ و هل عادت عليهم بالإيجاب أم بالسلب ؟

* هل تعتبر هذه الأحداث سببا في الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم مباشرة بعد نهاية الامبراطورية الرومانية سنة 429 م ؟

تكمن أهمية موضوع البحث في محاولة الكشف عن الاسباب الحقيقية التي أدت الى انهاء الوجود الروماني في بلاد المغرب القديم ، و كذا الثورات التي عرفتها المنطقة، وإبراز طبيعة التكافل والتلاحم الشعبي الذي عرفته إبان هذه الأحداث.

ومما زاد في إصرارنا على طرق هذا الموضوع، غياب دراسات أكاديمية في جامعة ابن خلدون تناولت الموضوع، فكانت رغبتنا في ذلك كبيرة لعل هذه المحاولة تكون لبنة إضافية في صرح البحث في تاريخ مجتمعنا القديم.

أما عن سبب اختيارنا لهذا الموضوع فيعود في البداية إلى دافع ذاتي ، ورغبة دفعتنا بإلحاح للاطلاع على أحداث المنطقة التي ننتمي إليها، و بخاصة أثناء الاحتلال الروماني، كما كان للأستاذ المشرف دور كبير من خلال تشجيعه لنا، وكذا لتوفر و تنوع المادة العلمية.

كما أن موضوع بهذه الأهمية لا يمكن أن يحركه دافع ذاتي، بل لابد من دوافع علمية بحتة لإنجاز دراسة موضوعية والتي من أهمها كون الكتابات التاريخية قد أخذها تيار الجهوية، و خاصة الأجنبية منها.

و قد واجهتنا في إنجاز هذا البحث صعوبات جمة، منها ما يتعلق بجمع المادة العلمية و بخاصة عدم قدرتنا للوصول إلى المصادر الأجنبية، التي كان يمكنها ان تعطي الموضوع طابعا خاصا ، و كذا طول المدة الزمنية المدروسة و تداخل الأحداث و كتابة المؤرخين تاريخ هذه المنطقة في المصادر الاغريقية و الرومانية بتحيز، مما صعب علينا تمحيصها واستخلاص الحقائق التاريخية منها.

و مما صعب من مهمتنا البحثية التسابق مع الزمن، فالمدة غير كافية لإنجاز موضوع يتناول دراسة من هذا النوع، كما أننا لم نوفق في تحليل المادة العلمية المتوفرة كفاية نظرا لكثرتها و تنوعها بين أجنبية و محلية.

و لإنجاز هذا البحث قمنا بوضع خطة ، قسمناها إلى مقدمة وثلاثة فصول و خاتمة وملاحق.

أما المقدمة تطرقنا فيها للإشكالية، وأهمية الموضوع و أسباب اختيارنا له و الصعوبات التي واجهتنا، عرض الخطة، و في الأخير تحليل لأهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها.

وتناولنا في الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان " الرومان و تطلعاتهم في بلاد المغرب القديم (146 ق م/ 429 ق م)" و تضمن دوافع الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم و تمثلت في دوافع سياسية عسكرية ، اقتصادية ، اجتماعية، و كذا الى مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم.

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه الى بوادر انحطاط الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم ، و الذي تضمن أسباب انحطاط الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم – سياسية عسكرية ، اقتصادية، اجتماعية – بالإضافة الى مقاومات سكان بلاد المغرب التي أنهت الاحتلال الروماني (ثورة الدوارين الريفيين ،ثورة جيلدون ، ثورة فيرموس).

أما الفصل الثالث فأوردناه تحت عنوان "نتائج زوال الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم" الذي تطرقنا فيه الى انعكاسات نهاية الوجود الروماني على بلاد المغرب القديم في المجال الاقتصادي ، المجال الاجتماعي ، المجال الديني ، و كذا الى الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم ، أسباب الاحتلال الوندالي ، سياسة الوندال في بسط سيادتهم على البلاد و رد فعل سكان بلاد المغرب القديم.

و في الأخير ختمنا عملنا هذا بخاتمة التي كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات.

واعتمدنا المنهج السردي التحليلي الذي يناسب طبيعة الموضوع الذي ينم فيه تقصي الحقائق التاريخية والوقوف أحيانا لتحليلها و تمحيص المادة العلمية التي توفرت لدينا.

و لتحرير هذا العمل تتبعنا مادة البحث في مقدمتها المصادر اليونانية مثل : هيرودوت (تاريخ هيرودوت) و الرومانية استرابون في كتابه (الجغرافيا) اللذان أفادانا في التعرف على الجغرافيا التاريخية لمنطقة بلاد المغرب القديم، أما المراجع بنوعيها باللغة العربية و اللغة الأجنبية ، فأما التي باللغة العربية فقد اعتمدنا على كتب محمد البشير شنيتي ، محمد الصغير غانم ، حارش محمد الهادي ، ....الخ التي ساعدتنا على معرفة الأحداث و الوقائع التاريخية بالتفصيل منذ الاحتلال الروماني للمنطقة الى غاية نهايته و كذا الى الاحتلال الوندالي ، أما باللغة الأجنبية فنجد أعمال كل من لوفو المتمثلة في الجانب الديني ، بونيفاي و جون ميشال لاسير اللذان أفادتنا مؤلفاتهم من حيث الجانب الأثري ، غابرييل كامبس ، روستوفرز ، تشارل زورث ،....الخ الذين استشفت لنا كتبهم الأوضاع السياسية و الاقتصادية والاجتماعية لمقاطعات الامبراطورية الرومانية ، كما اعتمدنا ايضا على مجموعة من المذكرات كان في مقدمتها العود محمد الصالح الذي تطرق في عمله الى التحولات الحضارية في منطقة بلاد المغرب القديم أثناء الإحتلال الروماني و الوندلي، وصندوق ستي ، نوارة عمار، اللتان تمثلت دراستهما في الجوانب الأثرية .

الفصل الأول

الرومان و تطلعاتهم في بلاد المغرب القديم (146 ق م الى 429 ق م)

المبحث الأول: دوافع الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

المطلب الأول: دوافع سياسية عسكرية

المطلب الثاني: دوافع اقتصادية

المطلب الثالث: دوافع اجتماعية

المبحث الثاني: مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

المطلب الأول: بلاد المغرب مقاطعة رومانية

المطلب الثاني: بلاد المغرب في ظل نظام البروقنصلية

رغم أن بدايات الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم[1] لا يعتبر موضوعنا الأساسي في هذا البحث، إلا أنه لا يمكننا الخوض في تاريخ الوجود الروماني في المنطقة وما تبعه من تحولات دون التطرق للمرحلة الأولى التي شهدت بروز نجم الإمبراطورية الرومانية، حيث عرف الوضع قبيل هذا الغزو أوضاعا مضطربة يغلب عليها التوتر السياسي بين قطبي حوض البحر الأبيض المتوسط آنذاك الإمبراطورية الرومانية و الحضارة القرطاجية ، التي آلت إلى السقوط بعد تراجع نفوذها يوما بعد آخر.

تباينت دوافع الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم ما بين سياسية عسكرية إلى اقتصادية اجتماعية ،هذا ما أدى إلى استعمال سياسة استيطانية هدف من خلالها الأباطرة الرومان إلى بسط نفوذهم على بلاد المغرب القديم ، و كذا سيطرتهم على سكان المنطقة ، و هذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: دوافع الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

المطلب الأول: دوافع سياسية عسكرية:

كان الرومان يهدفون في غزوهم لشمال إفريقيا إلى القضاء على القرطاجيين و السيطرة على المناطق التابعة لهم، ويؤكد مجموعة من الباحثين على أن الرومان لم يحتلوا إفريقيا راغبين و إنما مرغمين تماشيا مع حرصهم في القضاء على غريمتهم في حوض البحر المتوسط قرطاجة،وقد استدل هؤلاء الباحثون بعبارة القنصل الروماني "كاتوا" قرطاجة يجب أن تهدم (DELANDAEST CARTHAGE) دليلا على رأيهم هذا، أما فريق آخر من الباحثين يرى أن

[*] – بلاد المغرب القديم: هي تلك المنطقة الواقعة شمال القارة الافريقية و المحسورة بين خطي عرض (18°)و(38°) شمال خط الاستواء و خطي طول (25°) شرق و (17°) غرب خط غرينيتش، فبلاد المغرب نجدها عند هيرودوت تمتد من حيث تنتهي حدود مصر الغربية ،من بحيرة ماريوت الى رأس سولوجوس بالمحيط الاطلسي، أنظر:

Hérodote, histoire, trad. par Larcher, charpentier libraire-éditeur, paris, 1850, II.32.

الرومان لم يستعمروا شمال إفريقيا لأسباب اقتصادية فقط، إنما كان عبثا سياسيا و عسكريا على كاهلهم وكان ما يهمهم هو القضاء على القوى المحلية لشمال إفريقيا [1].

وتلك التوسعات يمكن إحاطتها بالظروف التي سايرت نشأة و تطور مدينة روما، ذلك أن المدينة تطورت ضمن عدد من الوحدات السياسية المتنافسة في سهل الليثيوم LATIUM بروما، وكانت القبائل اللاتينية التي يتكون منها سكان المنطقة لا يستقر الأمر بينهم، ولا يدينون بالطاعة و الولاء لمدينة ما من دول المدن، وعندما اعتنقت روما نظاما سياسيا جديدا غريب على المنطقة وهو النظام الجمهوري، ازداد خنق الشعوب المجاورة عليها، فكان على مجتمع مدينة روما أن يعمل على حماية نفسه من غضب جيرانهم، وذلك بسلوكه سياسة دفاعية، تحولت إلى حركة توسعية، مارستها روما لفرض نظامها الجديد على تلك القبائل المجاورة لهم[2].

بعد أن بدأت روما تتحكم في مدنها أصبحت أقوى كثيرا مما كانت عليه من قبل، وخلال القرن الرابع ق.م وما بعده اندفعت روما بسرعة مذهلة لكي تصبح القوة المسيطرة في إيطاليا، وتقلصت تدريجيا تلك الثغرة الفاصلة بين المناطق التي تهتم بها كل من القوتين الإغريقية و القرطاجية لتبدأ روما باسترجاع سيادتها من أجل تحرير أراضي من الزحف الإغريقي و القرطاجي، وبهذا بدأ تضارب المصالح بين روما و قرطاج، غير أنه لم يمض غير عقد من الزمن حتى دخلت الدولتان في صراع أنزل بكل منهما خسائر فادحة، ورغم أن النتيجة كانت ذات أهمية في مجال توظيف العوامل الجغرافية لصالح السياسة، فليس هناك شك أن سبب الحرب إنما كان تافها لم تكن له أهداف محددة وثابتة.[3]

[1]–احمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي للمدن الثلاثة،الدارالجماهيرية للنشر و التوزيع،بغازي،ط1،ن1993،ص55.

[2]–محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة)، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط2،1983،ص46.

[3]– محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار الفيلة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1990، ص 256.

ولكن الرأي الذي يقلل من هذا الهدف المتمثل في القضاء على قرطاج أن روما حكمت عليه بالموت قبل قيام الحرب البونية الثالثة و ذلك عن طريق شروط معاهدة زاما(201 ق م) القاسية[1] و دعم حليفهم ماسينيسا الذي كان يراقبها و يتحفز للانقضاض عليها و على أملاكها، ولكن الرأي الأقرب إلى الصواب هو خشية روما من استيلاء ماسينيسا* أو أحد أسلافه على قرطاجة و بذلك يستطيع أن يكون قوة تهدد المصالح الرومانية في غرب البحر المتوسط، وتشكل قوة قرطاجية جديدة في صورة أخرى أفضل[2].

وجاءت معاهدة زاما بعد حرب طويلة بين الرومان و القرطاجيين و التي كانت بنودها لصالح الرومان بفضل سياستهم أكثر على حساب ماسينيسا بعد انهزام القرطاجيين في الحربين البونيتين الأولى والثانية ، ونصت المعاهدة على أن تحتفظ قرطاجة بالمدن التابعة لها قبل حربها الأخيرة ضد روما، وكذا إقليمها ومراكزها التجارية، وبالتزامها أن تعيش امنة ضمن قوانينها و أعرافها، و أن تعيد للرومان كل ما أخذته منهم خلال الهدنة و غيرها من الشروط[3].

استغلت روما الظروف السياسية السائدة بين الممالك المحلية خاصة الصراع القائم بين ماسينيسا و قرطاج، وقيام ماسينيسا بإهانة و إذلال القرطاجيين من خلال ما جاء في الشرط الأخير من الاتفاقبل عمد إلى إرساله فرسان لقتال القرطاجيين الذين كادوا ينالون من حياته فدخلوا في حرب ضده وبهذا تكون قرطاجة قد وفرت لروما الذريعة

1 - يرى البعض أن معاهدة زاما كانت وراء المصير الذي الت اليه قرطاجة سنة 146 ق م، راجع شارل شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة،ج1، تونس، 1985.

* –ماسينيسا: ولد عام 238 ق.م بمدينة دوقة أقيم له ضريح فيها بعد وفاته، والده جايا، شارك ماسينيسا في بعض الحروب مع الرومان حتى أصبح قائدا عسكريا عندهم، شارك في الحرب البونية الثانية و الثالثة من أجل استرجاع أملاك أجداده بنوميديا و قرطاج،كان خصمه في الحرب سيفاكس وبعد انهزامهما ولته روما على العرش النوميدي، قام بإصلاحات بعد توحيد نوميديا وتوفي 148 ق.م تاركا الحكم لأبنائه أنظر: محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر،2003، ص36.

[2]–زواوي الصديق، سياسة التدرج الروماني في احتلال بلاد المغرب القديم (146 ق.م– 430م)، مذكرة ماستر في التاريخ العام، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1954، قالمة، 2015–2016،ص24.

[3]–العربي عقون، ماسينيسا من كفاحه لاستعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء نوميديا، مجلة العلوم الاجتماعيةوالإنسانية، ع12،قسنطينة،2010 ص99.

للقضاء عليها، بعد أن قامت بخرق إحدى بنود معاهدة زاما التي منعت القرطاجيين بالدخول في حرب داخل الأرض الإفريقية أو خارجها دون إذن من روما[1].

وبهاذا أصبحت قرطاجة مكبة بعد هزيمتها في معركة زاما 201 ق.م، بحيث أصبحت عاجزة عن اي رد فعل شيء يعيق توسع ماسينيسا، كما أن الحملة التي شنها سنة 193 ق.م سبب للقرطاجيين انزعاجا و إهانة لا يضاهيان، وفي سنة 182 ق.م كان قد استرجع أيضا المنطقة التي كان والده جايا من قبل قد انتزعها من القرطاجيين، وفي سنة 174 ق.م تحرك مرة أخرى وضم إلى حوزته ما يقدر على أكثر من سبعين مدينة تقع في شمال غربي تونس الحالية و كانت تابعة لقرطاجة وقد تقدمت قرطاجة بشكوى إلى روما حيث تحرك مجلس الشيوخ الروماني، غير أن تحركه ذلك كان لصالح ماسينيسا فزاد من الاستيلاء على العديد من المناطق وصولا إلى طرابلس، لكن سرعان ما كانت الاعتداءات المتكررة التي قام بها ماسينيسا ستصير لهم مأساة في شمال إفريقيا، ولذلك كانت مساعدة روما لماسينيسا مادية فقط، بل كان عليه أن يقود العرش الذي تولاه بفضل الرومان وفقا لمتطور ومصالح روما في المنطقة.[2]

رغم كل هذه الدوافع السياسية و العسكرية للتوسع الروماني في بلاد المغرب، فإن الرومان لم يكن يدفعهم إلى التوسع عامل الكسبة بقدر ما كان يدفعهم إلى التوسع هو الخوف من جيرانهم خاصة عندما تنمو قوتهم، غيلا أن هذا السبب لا يمكن تعميمه على جميع مراحل التوسع الروماني سواء في إيطاليا أو خارجها، لأن الدوافع قد تغيرت بوضوح خلال الانتصارات العسكرية الكبرى التي أحرزوها ضد جيرانهم.

ومن الأسباب السياسية و العسكرية كذلك للتوسع الروماني على بلاد المغرب القديم هو انحصار نفوذ قرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط بفضل النظام الجمهوري الذي حدد الأهداف المرسومة لهذه الدولة متوافقة

[1]-ذهيبة سي الهادي، الممالك النوميدية بين قرطاجة و روما، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2012-2013،ص78.

[2]-محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية و الحضارة البونية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر،ط1، 2006، ص63.

ومتناغمة مع أهداف الرومان في السيادة و التوسع على حساب جيرانهم من الإغريق و القرطاجيين و غيرهم من الشعوب، و أدرك الرومان أن الوقت قد حان لوضع حد لسيادة قرطاجة في غرب البحر المتوسط معلنين بذلك إنهاء عصر السلام الذي ساد العلاقات الرومانية القرطاجية، و أن تلك المعاهدات التي تم عقدها سابقا سيتم نسيانها، ولعل من أهم المآخذ التي تأخذ على السياسة القرطاجية أن ساستها قد أغفلوا على ما يقوم به الرومان من استعدادات من حيث تحقيق الوحدة و الانسجام بين قبائل إيطاليا وما قاموا به من اصلاحات على الصعيد الداخلي في الوقت الذي لم تهتم به قرطاجة إلا بجمع المال و فرض الضرائب، بل معادات سكان المغرب القديم و اعتمادها على المرتزقة في إعداد جيوشها، وبها صار الصدام بين الدولتين وشيكا وحتميا روما كقوة لها أهداف توسعية.[1]

ومن بين الأسباب العسكرية هي قوة الرومان التي تكمن في عدد جيوشها التي تسمح لها بتحمل الخسائر الثقيلة و لمدة طويلة، و يظهر ذلك أثناء إحصائها لعدد الجنود الذي تجاوز ثلاثة مائة ألف مقاتل خلال الحرب البونية الثانية في إيطاليا وحدها ضمت ذلك العدد، فانتهجت روما سياسة التوسع بزيادة عدد جنودها في الجيش، بعدما تبين لها القدرة على التوسع في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، مع تزايد الخطر القرطاجي الذي أصبح يهددها[2]وإن سعي الرومان من أجل السيطرة على شمال إفريقيا أصبح من أهم المشاريع التي ركز عليها القادة الرومان، فبعد سياسة أغاثوكليس الإغريقي و ريغلوس الفاشلتين، فهم سكيبيون*ضرورة الدعم الإفريقي من أجل انجاح مهمته في نقل ميدان الحرب إلى إفريقيا، ولهذا اعتبر الرومان ضرورة التقرب إلى مملكتي نوميديا و موريطانيا ضرورة ملحة

[1]-عبد المجيد صالح المغربي، انحسار نفوذ قرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن السادس ق.م، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والإجتماعية، ع6، ص169.

[2]-بشير إبراهيم محمد العيد و آخرون، حنبعل و الحرب البونية (218-201 ق.م)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2012،2-2013، ص ص 118-120.

* -سكيبيون:هو بوبليوس كرونوليوس سكيبيون(235-183 ق.م) المسمى سكبيون أفريكانوس بسبب حروبه في إفريقيا هو من عائلة كورنيليا الرومانية من طبقة الأشراف،كان أبوه قائدا حربيا، وجهت إليه تهم الفساد و أحس بمضايقات في روما فغادر إلى منطقة ريفية في كمبانيا أين قضى آخر أيامه و توفي عن عمر 52 سنة، ولتذكر وطنه لأفضاله عليه أوصى أن لا يدفن في روما و اوصى أن يكتب على قبره قائلا: أيها الوطن الجحود لن تنال عظامي أنظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 93.

وذلك من أجل كسب دعمهم، وتلقي المساعدة بالعتاد و الرجال، وبهذا الجيش الروماني لا يحس أنه معزول في بلاد مجهولة، وهذا يعتبر من الأسباب التي تساعده لإدراك مخططاته[1].

إن توحيد شبه الجزيرة الإيطالية وصهر تلك القبائل في بوتقة واحدة كانت الأساس الذي قامت عليه الإمبراطورية الرومانية فيما بعد، إضافة للحروب التي دارت رحاها بإيطاليا كانت قد أكسبت الرومان خبرة كافية لخوض المزيد من المعارك مدفوعين في ذلك بنشوة الانتصارات و الحصول على مكاسب جديدة، و المفيد ذكره ما ميز الرومان عن غيرهم من الأمم هو القدرة على استيعاب الدروس و اعتمادهم على الكفاءة و التنظيم الذي أهلهم أن يكونوا قوة مؤثرة في تاريخ العالم القديم و غرب البحر المتوسط، فقد أدرك الرومان خطورة الوجود القرطاجي على مقربة من السواحل الإيطالية في صقلية، سردينيا و كورسيكا، تلك الجزر العائمة ذات المواقع الممتازة وما تجود به من منتجات زراعية ومواد خام لازمة للصناعة، فالإصلاحات التي قامت بها الجزيرة الإيطالية و التي شملت كل المجالات و إصدار التشريعات و القوانين المنظمة لمرافق الدولة وهو ما مثل البنية التحتية التي مكنت الرومان من السير بخطى ثابتة من أجل بناء دولتهم.[2]

المطلب الثاني: دوافع اقتصادية:

تعتبر الظروف الداخلية في روما خلال النظام الجمهوري و الإمبراطوري، وكذا عجز الريف الإيطالي نظرا لما استجد فيه من خلال استحواذ الملاك الكبار على أراضي المزارعين الصغار و مغادرة الآخرين للأرياف و تعويضهم بالعبيد الذين تنقصهم التجربة و الخبرة في ميدان الزراعة، أدى إلى تراجع الإنتاج الفلاحي، إلى جانب هجرة الأرياف والتوجه نحو العاصمة روما، و التي انتشرت فيها البطالة فظهرت الآفات الاجتماعية نتيجة نقص العمل، و انعدام

[1]-شعبان علي أحمد، السياسة الخارجية لمملكتي نوميديا و موريطانيا في عهد الممالك (من القرن الثالث قبل لميلاد إلى 40م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009-2010،ص87.

[2]-عبد المجيد صالح المغربي، المرجع السابق، ص 168.

المداخيل وكثرة السرقات، فكان على روما إيجاد الحلول، فلجأت إلى التوسع نحو إفريقيا و استغلالها، ومنها بدت الخلفيات الاقتصادية للاحتلال الروماني لبلاد المغرب من خلال ما قامت به روما من أعمال المسح للأراضي، والاستحواذ عليها، و التوسع على المزيد من الأراضي[1].

ارتبط تطور اقتصاد الرومان و الحياة الاجتماعية و السياسية فيها بتوسعهم في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتسخيرهم لثروات الشعوب التي أخضعوها خدمة لمطالب المواطنين الرومان كما درس الرومان مسبقا تسخيرهم لمنطقة المغرب أرضا وشعبا لخدمة الاقتصاد و المجتمع الرومانيين معتبرين ذلك شيئا طبيعيا، وبدأ اهتمامهم باقتصاد المغرب القديم يعود إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد إثر معركة زاما، وقد أعجب القنصل كاتو الروماني وسكيبيون بالنشاط الزراعي لبلاد المغرب، وتنوع محاصيله وبالإضافة الى المساعدات التي قدمها ماسينيسا و أبناؤه من بعده لروما[2].

لعب العامل الاقتصادي دورا هاما في الغزو الروماني لبلاد المغرب حيث أن تلك الفترة تعتبر خالية من أي باعث ديموغرافي إذ أن سكان إيطاليا أنذاك لا يزيدون عن أربعة عشر مليونا منهم أربعة ملايين من العبيد، كما لا ننسى أن إفريقيا ذات أهمية تجارية و زراعية بالنسبة للأغنياء و الحكام من الرومان الباحثين عن الثروة، و أصدق مثال على الأهمية الاقتصادية لإفريقيا هو ما ذكره المؤرخ الروماني تيتوسليفيوس أن قله الواردات القادمة من إفريقيا كانت سببا في ارتفاع سعر القمح في روما عام 122 ق.م، وكان النشاط التجاري عبر الصحراء منذ أيام الفينيقين أحد العوامل التي شجعت على استعمار إفريقيا، وهذا ما دعي صانعي القرارات الرومانية إلى الدعوة لاحتلالها و استثمار

[1]-كابلي فاطمة، الخلفيات الاقتصادية للاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم و أثرها على المجتمع، مذكرة في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010-2011،ص117.

[2]-محمد الحبيب بشاري، دور المقاطعات الإفريقية ي اقتصاد روما، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2006-2007،ص،ص2-3.

أراضيها لتوفير الغذاء للشعب الروماني و ابتزاز أكبر قدر ممكن من الضرائب[1] وأن الإمكانيات الإفريقية التي كانت تزخر بها هي التي أسالت لعاب كاتو الروماني الامر الذي جعل من ثمرة تين إفريقيا لتحريض مجلس الشيوخ الروماني على تدمير قرطاج[2].

وكانت خصوبة أرض بلاد المغرب القديم، وما تذره من خيرات زراعية جعلت منها محل أطماع الرومان ذلك ما أكده يوليوس قيصر(JULIUS CAESAR) عند احتلاله نوميديا سنة 46 ق.م بقوله: "أتيت لروما ببلاد تستطيع أن تزودها بمقدار 840 ألف قنطار من القمح" ذلك أثناء احتفاله بالانتصار الذي أحرزه في إفريقيا و احتلاله لمملكة نوميديا، و ازدادت أهمية قمح بلاد المغرب القديم لدى الرومان بعد عجز كل من صقلية و سردينيا على تموين روما نتيجة للحروب الأهلية، فتحولت أراضي قرطاجة الغنية بالقمح وباقي الأراضي الأخرى إلى ممونه لروما[3].

وقد أولت الدويلات الثلاثة قرطاج و نوميديا و موريطانيا أهمية كبيرة للجانب الزراعي، بحيث ساعدت خصوبة التربة ووفرة المياه السكان على ممارسة النشاط الزراعي مما جعلها تنتج كميات كبيرة من المحاصيل، فكان لديهم موسمين للحصاد الأول في الصيف و الثاني في فصل الربيع، و كذا طول ساق نبات القمح المقدر بمترين وعشرين سنتيمتر، اضافة الى حاجة روما للقمح و الشعير، وباعتبار نوميديا تنتج كميات وفيرة منها، كانت قد قدمت مساعداتها للجيوش الرومانية المحاربة بكميات من القمح و الشعير، ففي عام 20 ق.م أمدتها بالقمح، وأرسل ماسينيسا في سنة 191 ق.م إلى مدينة روما 300 ألف موديوس من القمح، وفي حرب الرومان ضد مقدونيا تدعمت بالقمح من نوميديا، وكانت مدينة روما كأغلب عواصم العالم القديم، تعاني من التضخم السكاني، فعدد سكانها كان يزداد بسرعة و انتظام، ويتطلب ذلكتوفير كميات كبيرة من القمح كغذاء أساسي للسكان، وقد وقفت

[1]-أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق،ص57.

[2]- J.DESANGES, PLINE LANCIEN HISTOIRE NATURELLE , PARIS,1980 ,XV-XX.

[3]-بن عبد المؤمن محمد، أهمية قمح بلاد المغرب القديم، مجلة الحضارة الاسلامية، ع29،وهران،2016،ص2.

روما في تلك الفترة عاجزة على انتاجه لسد حاجيات سكانها، فعانى الإنتاج الزراعي من التخريب خلال الحرب البونية الثانية فقد قام القائد القرطاجي هانيبال (247-183 ق.م) بتدمير حقول القمح في إيطاليا[1].

وفي خضم هذه التحولات التي شهدها المجتمع الروماني، وجد الساسة الرومان أنفسهم أمام مهمة جديدة تتمثل في كل طبقات المجتمع الروماني، في نفس الوقت المحافظة على السلم الاجتماعي و الاستقرار السياسي في روما، وتجنب استغلال الطامعين في السلطة، وتوفير الغذاء و الترفيه للطبقة العامة[2].

ومن العوامل الاقتصادية التي ساهمت كذلك في التوسع الروماني على بلاد المغرب هي أن فئة من الطبقة الاجتماعية أصبحت تبارك للحركة التوسعية الاستعمارية، نظرا لما تقدره عليها تلك الحركة من أرباح، حيث ظهر رجال العمال الذين يرغبون في توسيع المجالات لاستثماراتهم، كما برزت رغبة الجنود في القيام بحروب تضمن لهم المزيد من الغنائم و المكافأة، فضلا عن الأموال التي كانت تتدفق على روما من الغنائم و عائدات الجزية المفروضة على المهزومين، الأمر الذي جعل الأرباح تبلغ درجة حصلت معها عامة الناس على قسطها من سخاء الدولة مما جعل مختلف الطبقات الاجتماعية السياسية التي تضمن لها مثل هذه المكاسب[3].

فمثلا عن مدينة صبراته الليبية التي كان لها دورا اقتصاديا مهما مميزا بين مرافئ غرب البحر الأبيض المتوسط، فإن دوافع الغزو الروماني لهذه المدينة لا تخرج عن الدوافع الاقتصادية المهمة في تلك المدينة و التي شجعت الرومان على احتلالها و الرغبة في السيطرة على البلاد و استثمارها لصالحها، وكان

[1]-أحمد أنديشة، الإمبراطورية الرومانية و القمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية،د ت، ص 438.

[2]-محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة المقاطعات الافريقية 146 ق.م-285م)،دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر،ط1، 2015،ص 179.

[3]-محمد البشير الشنيتي، المرجع السابق، ص50.

الهدف من مثل هذه الحملات و التوسعات هو الوصول لمناطق الإنتاج وسط القارة، ورغبتهم في مشاركة القبائل في المكاسب التي تعود إليها من التعامل التجاري[1].

إلا أن النشاط الزراعي في روما هيمن على باقي النشاطات الاقتصادية لاسيما أن المواطن الروماني كان يعتبر الأرض أغلى ما يمكن أن يمتلكه الإنسان، وفلاحة الأرض أنبل نشاط اقتصادي يمارسه، وقد غلب على زراعة الحبوب و أهمها القمح الذي كان الغذاء الأساسي للمواطن الايطالي بصفة عامة، و المواطن الروماني بصفة خاصة، كما أن النشاطات الاقتصادية فقد تميزت بالطابع الأسري ذات الانتاج المحدود، لقد استمر الوضع على هذا المنوال لمدة زمنية طويلة تجاوزت خمسة قرون، تميزت فيها حياة المواطنين الرومانيين بالسلطة و الاكتفاء الذاتي و التقشف، لكن الأمور تغيرت بعد أن نجحت روما في السيطرة على كل شبه الجزيرة الإيطالية، وبها توجهت نحو القضاء على قرطاج، وغيرها من القوى الاقتصادية و المراكز الحضارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، إذ غنمت منها ثروات ضخمة لم يكن المواطن الروماني يتصورها وقد انعكست فيها بعد حياته المادية و غيرتها جذريا و يتجلى ذلك في إلغاء السلطة للضريبية التي كانت مفروضة على المواطن الروماني، كما سمحت التوسعات لروما بالاستيلاء على أراضي الشعوب و ضمها لأملاك الشعب الروماني[2].

وأما الأسباب التجارية فمنذ عهد الجمهورية الرومانية كانت روما تعاني من سيادة قرطاجة على البحر المتوسط الذي كان مرسخا لسفن قرطاجة التجارية تشق على بابه لنقل السلع و المتاجرة إلى جميع البلاد و الثغور الواقعة على شواطئه ،كما قرطاجة كانت السيدة الوحيدة على هذه الطريق التجارية، ولما ازدادت فتوحات روما، فوصلت إلى أطراف إيطاليا الجنوبية و احتلت عدة مدائن فخشيت قرطاجةمزاحمتها لها في التجارة التي كانت مورد

[1]-علي كسار غدر سلطان الغزالي، الأوضاع الاقتصادية لمدينة صبراته خلال العصرين الفنيقي و النوميدي و السيطرة الرومانية عليها، مجلة كلية التربية، ع 13 ، جامعة بابل العراق،2008،ص304.

[2]-محمد الحبيب بشاري،المرجع السابق،ص308.

ثروتها وينبوع غناها وحصل ما حصل بينهما من الحروب من أجل افتكاك روما سيادتها لوحدها على البحار ،ويروي المؤرخ الإغريقي هيوردوت أن القرطاجيون كانت لهم تجارة وصلت إلى أقوام يسكنون وراء أعمدة هرقل وكانوا يتحصلون مقدار معين من الذهب مقابل تلك البضاعة أي ما وراء إسبانيا[1].

ونتيجة لهذه الشهرة التي نالتها التجارة القرطاجية جلبت إليها المنافسة التجارية الخارجية، و التي تحولت إلى منافسة عسكرية من طرف الإغريق في إطار ما يسمى بحروب صقلية، ثم انتقلت المنافسة العسكرية إلى الرومان من خلال الحروب البونية و التي كانت نهايتها وخيمة على قرطاج، وفقدان القرطاجيين احتكاراتهم و أسواقهم التجارية[2].

لقد حافظ القرطاجيون على سرية الطرق التجارية و النتائج الاقتصادية التجارية لرحلاتهم الاستكشافية، وما يؤكد ذلك أن هذه النتائج لم يذكرها حانون في تقرير رحلته ولم ينشر الرحالة القرطاجي الآخر هميلكون إليها أيضا، وهذا لتبقى هذه الأسرار حكرا على القرطاجيين لوحدهم، ومما يؤكد ذلك ما ذكر سترابون في قوله: "إن سفن رومانية تعقبت سفينة من الكرونوول كي تتعرف على الطريق المؤدي إلى مناجم القصدير لكن تفطن رجالها، وقاد سفن روما عن عمد إلى أرض مستنقعية فاستدرجها إلى الهلاك، وبقي القرطاجيون مسيطرون على سواحل المحيط الأطلسي، فقد سعى الرومان الى افتكاك هذه السيطرة من أجل التوسع على المناطق التي كانت خاضعة لقرطاجة[3].

وخلاصة القول في هذا الجانب أن تلك الدوافع السابقة التي شجعت الرومان على احتلال بلاد المغرب أسهمت جميعا في دفع الاستعمار للبلاد، و إن اختلفت درجة أهميتها حيث أن الدافع الاقتصادي لعب دورا كبيرا في ذلك، من هذا المنطلق سخرت بقية الدوافع لخدمة هذا الهدف إذ أن وجود جماعات السماسرة من الرومان و أرباب

[1]-هيرودوت، التواريخ ، ك4، تر: عبد الإله الملاح، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 2001، ص396.

[2]-ريمة مليزي، المبادلات التجارية القرطاجية في العصور القديمة، جامعة المسيلة، دت،ص192.

[3]-ريمة مليزي، قرطاجة و البحر، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم،قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2010-2011،ص ص 197-198.

السفن و أصحاب الحرف أضف إليهم المعمرين الذين استولوا على افريقيا و حولوها إلى إقطاعيات خاصة بهم، يؤكد لنا أن الدافع الرئيسي للرومان من احتلال البلاد هو الرغبة في السيطرة على خيرات البلاد و استثمارها لصالحهم .

المطلب الثالث: دوافع اجتماعية:

لم يكن للرومان جند حكومي مرابط في قلاعه تقتله البطالة و تستولي عليه الشهوات و تؤدي به عدم المبالاة في الحروب، بل كان في كل المدن و القرى من الرجال و الشباب جند الحكومة من أبناء روما يهرعون إلى القتال إذا قرعت طبوله، ويستميتون في الدفاع و الهجوم، وكان الأغنياء من الخاصة ليس في المال فحسب بل في البطولة والأخلاق المتينة التي جلبت لهم الأموال، ولسوء حظ بلاد المغرب أن الرومان قد استولوا عليه وهم مقبلون على شيخوختهم فضعفت أخلاقهم و اهتموا بالتوسع لجمع المال من المستعمرات، و ليمنحوا نشوء دولة قوية تزاحمهم في البحر المتوسط[1].

كان الاستعمار الروماني قد فرضت عليه الظروف الاجتماعية التي عاشتها إيطاليا إبان الحروب الأهلية خلال القرن الأول ق.م و القرن الأول ميلادي حين كان قادة الجيش يمنون جنودهم بالأراضي الزراعية إذا ما انتصروا في الحرب كما فعل ذلك ماريوس*مع جنوده، وشجع قيصر الكثير من جنودهعلى الهجرة إلى إفريقيا و الاستقرار بها، مما أدى إلى القيام بالعديد من الثورات في وجه الرومان الذين طردوا المواطنين من أراضيهم[2].

[1]-محمد علي دبوز، تاريخالمغرب الكبير ،ج1،مؤسسة تاوالت الثقافية ،الجزائر،2010، ص 313.

* -ماريوس: ولد ماريوس سنة 157 ق.م في ريف إيطاليا بقرية كريتاي تقع جنوب شرق روما على بعد 90كلم، حارب إلى جانب سكيبيون إليميانوس في حربه ضد نوماناس، تزوج يوليا ابنة سكستيوس قيصر و لعب دورا بارزا في حرب يوغرطة إلى جانب سولا.

أنظر: حمادوش بولخراص، سياسة يوليوس قيصر و انعكاساتها على نوميديا (49 ق.م-44ق.م) مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2013-2014،ص34.

[2]-أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق،ص57.

ليست هذه هي الأسباب الاجتماعية فحسب، فالحروب الرومانية كانت تمثل احدى الحلول المؤقتة لمعضلة المشاكل الاجتماعية عندما اكتظت روما بالمتعطلين من مختلف الفئات التي كان خطرها يتزايد مع الأيام، وضاق مجلس الشيوخ ذرعا بهؤلاء المطالبين بلقمة عيش أو لفتة عدالة، ومن ثم بات من المحتم على الدولة الرومانية أن تصرف أنضار هؤلاء المشاغبين إلى مايدور من معارك بينها وبين الأعداء،وتقوم بتعبئتهم لاقتحام الحروب الدائرة على التخوم، فالخدمة العسكرية في هذه الحالة كانت تحقق للدولة الرومانية هدفين هما: إخضاع الشعوب المتألبة عليها في الولايات أو على حدودها و الثاني يتمثل في التخفيف من حدة المشاكل الاجتماعية الداخلية التي كانت تنخر الكيان الروماني من الداخل، وذلك بالتوسع و إلهاء الناس بالحروب، وجعل العاطلين منهم وقودا لها في غمرة الاغراء بالحصول على الغنائم و الأملاك، و أخيرا تأتي فكرة التيه الروماني، وهي تتجلى بالاعتقاد بأفضلية الشعب الروماني و عظمته، و الإيمان بضرورة فرض سيطرته على كافة الشعوب و الأقطار، و الظاهر أن هذه العقلية العنصرية، ظهرت منذ نشأة النظام الجمهوري(RUPOLICA) لدى الرومان، ثم انتشرت في نمو متزايد خلال فترات التوسع العسكري و الاستعماري الذي انتصر فيه الرومان على أعدائهم ومقاومتهم، ووجدت تلك الانتصارات العسكرية التي قهرت الشعوب و أخضعتها للسيادة الرومانية أفضل سند في عقول الرومان حتى باتت من المسلمات التي لا تقبل النقاش لديهم[1].

وتعد قصة توسع روما وتحولها خطوة بخطوة سيدة لإقليم الليتيوم الموجودة به ثم سيدة لإيطاليا ككل، ورويدا رويدا تتسع هذه الدائرة وتمتد الى أقصى الحدود حتى أضحت روما سيدة البحر المتوسط بعد أن كونت إمبراطورية كان هذا البحر مركزا لها، ويعود السبب كذلك في هذا التوسع هو ظهور عدد من الشخصيات و القادة الأكفاء خصوصا خلال القرن الأخير من العصر الجمهوري، والذي قادهم للتطاحن فيما بينهم من أجل كسب أكبر قدر من التأييد الداخلي إلى التوسع الخارجي، وكسب المزيد من الأراضي، وضم شعوب جديدة، إلى الكيان الروماني، وادعى الشعب

[1]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص ص 50-51.

الروماني أم مدينتهم محاطة بالأعداء من كل جانب، وكان عليهم الدفاع عن وجودهم و إثبات الذات خلال هذا الطور الدقيق لاسيما أنهم اكتسبوا عداء المدن نتيجة لدفاعهم عن حريتهم، واختيارهم لنظام حكم جديد غير الحكم الملكي البغيض الذي أثار سخطهم[1].

فمن الواضح أن أمة رومانية يسودها هذا الاعتقاد بالتفوق، ستكون أمة مشبعة بالروح العسكرية، متأهبة لمنازلة الأعداء الذين يرفضون فكرة التفوق الروماني، أو الذين ينازعونها السيطرة على مناطق النفوذ من الشعوب المجاورة وهو الذي دفعها إلى التوجه نحو السيطرة على بلاد المغرب ناهيك عن الأسباب المباشرة التي أدت إلى نشوب الحرب بين القرطاجيين و الرومان في صقلية لأول مرة، و التي يمكن اعتبارها نتيجة لتطبيق فكرة التدرج في التوسع الروماني[2].

ومن الأسباب الاجتماعية كذلك التي ساهمت في توسيع روما لنطاقها الحيوي بالاحتلال و التوسع و تأسيس المستعمرات، كانت نتيجة حتمية أوجدتها الكثافة السكانية وكذلك الصراع في مجلس الشيوخ بين طبقة المحافظين وطبقة العوام(POPULARES) وانحطاط المزارع الصغيرة في إيطاليا أدى بمالكيها لتركها و الهجرة إلى المدن بحثا عن العمل و القوت، وبحثا عن ظروف حياة أفضل مما أدى إلى اكتظاظ العاصمة بالسكان، وما عقد الأمر هو كثرة الجنود المسرحين و إحداثهم لفوضى و اضطرابات بين الحين و الآخر ثم تسريحهم لأنهم عبئا على الخزينة، ومن العوامل التي عمقت الحالة المأساوية للرومان في العهد الجمهوري نجد تدفق الرقيق و حلوله محل الزراع الأحرار، خاصة إن كانوا يطالبون بحقوقهم من مكافأة مالية وتوزيع أراضي عليهم مقابل الخدمة إذ أصبحت روما قبلة تعج بالعبيد من مختلف الشعوب و الأجناس المقهورة، و هذا أدى إلى انتشار البطالة و اكتظاظ المدن بالعاطلين عن العمل خاصة

[1]-رجب سلامة عمران، الفكر العسكري بي الدفاع و الهجوم و التوسع و الاستعمار حتى نهاية العصر الجمهوري، مكتبة الثقافة للنشر، القاهرة ،ط1 2010،ص14.

[2]-محمد البشير الشنيتي ،المرجع السابق،ص51.

بعد هبات القمح المجاني الذي كانت توزعه روما قصد تجنب المشاكل، ما أدى الى استسلامهم للحصول على غير عادتهم و اعتمادهم في العيش على حساب الدولة فكانوا عالة عليها[1].

وعاشت الدولة الرومانية في أقصى عهدها الجمهوري في تكدس الملكية في أيدي القلة، وتزدهر في الحين الضائع استجابة لرغبات الأغنياء و الفقراء معا، فلم يعد يوجد في هذا الوضع للمواطن الحق و لا للجندي الحق، إذ أن الأراضي التي كانت توفر قوت الفريقين أصبحت تستغل لسد حاجات الأتباع و الصناع، وخدام الملاكين الجدد الميالين إلى حياة البذخ و الرخاء، وهذا ما أدخل الخلل على الدولة، وقد سبقت قرطاج روما فآنذاك كانت المناصب لا تستند إلا لمن يستحقها، فلا يجنى منها سوى التعطش نحو المتاعب، أما في قرطاج فكانت تباع و تشترى، فلا يخدم الفرد العموم إلا مقابل مكافأة من الدولة، وكادت الجمهورية الرومانية أن تصاب بالانحلال جراء إهمال الصالح العام.[2]

الأمر الذي أدى إلى تفشي الفقر و تأزم الأوضاع لدى العبيد، وهذا الوضع أدى بهم إلى القيام بثورة كشفت عن الخطر العسكري و الاقتصادي الذي هدد كيان الجمهورية الرومانية، و إن مثل هذا الوضع البئيس هو من جعل السلطة الرومانية تسعى إلى التخلص من العناصر العاطلة عن العمل، وتوطينهم في المقاطعات تجنبا لأحداث الشغب التي كانت تتسبب فيها من حين لآخر، و إبعاد النازحين الإيطاليين الذين افلسوا من جراء الأزمة الاقتصادية استلزم على روما التفكير في التوسع الاستيطاني، وتوطينهم في المستعمرات اللاتينية أو الرومانية التي أنشأتها خارج روما وخاصة في بلاد المغرب القديم، وبذلك يتم التصدي لخطرهم فيكونون قوة لها في المقاطعة.[3]

[1]-يسينة بوزكري، حركة الاستيطان الروماني في موريطانيا القيصرية خلال العهد الامبراطوري الأول، مذكرة في ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2012-2013،ص 49.

[2]-هونتيسيكو، تأملات في تاريخ الرومان-أسباب النهوض و الانحطاط ،تر: عبد الله العرو، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط1،2011،ص ص 38-42.

[3]-بسينة بوزكري، المرجع نفسه،ص50.

المبحث الثاني: مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

المطلب الأول: بلاد المغرب مقاطعة رومانية

1)نوميديا:

كانت قرطاجنة حاضرة الولاية المسماة افريقية الرومانية ،فبعد أن نصب ماسينيسا (MASSINISSA)نفسه ملكا على كامل نوميديا وهذا بعد انتصاره على سيفاكس في حرب فاصلة ب كيرطا 203 ق- م وبنص المعاهدة التي عقدت بعد معركة زاما استطاع ماسينيسا أن يسترجع أملاك أبيه و أسلافه ويضم إليها نوميديا الغربية لتصبح المنطقة الممتدة من نهر الملوية غربا إلى خليج السرت الكبير شرقا تابعة له، وشهدت المنطقة خلال عهده ازدهارا واضحا وكرس شعاره المشهور إفريقيا للأفارقة ليحاول بعد ذلك ضم قرطاج لولا تدخل روما[1]. وفي سنة 148ق- م توفي ماسينيسا تارك هذه المملكة لأبنائه الثلاثة مسطنبعل (MASTANABAL) وجلوسن (GULUSSA) ومكوسن (MICIPSA)[2] وتفرعت السلطة إلى ثلاثة فمكوسن تقلد السلطة التنفيذية و الذي حمل لقب حمملكت ويعني أمير إلا أنه غير مناسب لوظيفته لكونه أوكلت إليه السلطة التنفيذية وقد عثر على نقشان في تجيبا و آخر في شرشال بأن ميكوسن حمل لقب منكد* في المملكة وتبعا للنقش الموجود في تيجينا فكلمة منكد تعني أن الملك هو الرئيس الأعلى وقائد الرؤساء المحليين و الأمراء و القبائل و المدن[3]. وجلوسن السلطة العسكرية ومسطنبعل القضائية[4].

---

[1]-محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة،(د.ط)،دار هومة،الجزائر،2011، ص ص 232-234.

[2]-محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع السابق،ص199.

* -كلمة منكد تعني الوظيفة العالية، أنظر: فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك غايا الى بداية الاحتلال الروماني (213 -46 ق م) ،منشورات أبيك،الجزائر،ص 199.

[3]- المرجع نفسه ، ،ص ص 198-199.

[4]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي(ب،ط)،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر، ص105.

وكان لموكسن ابنان وهما هيمصال الأول (HIEMPSAL)و أذربعل (ADHERB) ولجلوسن ابن واحد يدعى ماسيقا أما مسطنبعل فخلف يوغرطة وجودا[1] إلا أن الإخوة الثلاثة لم يتفقوا فيما بينهم واتهم ميكوسن من طرف أخويه بالولاء الأعمى للرومان وبعد عامين توفي الأخوان بطريقة غامضة ويقول سالوست بأن سبب الموت هو إصابتهما بمرض ولهذا انفرد ميكوسن بالحكم سنة 146 ق- م وكان مواليا للرومان طيلة فترة حكمه وبعد وفاته سنة 118 ق م اضطربت الأوضاع بين أحفاد مسطنبعل و جلوسن و ميكوسن واسند الحكم إلى ابنيه هيمصال الأول و أذربعل وابن أخيه يوغرطة(JUGURTHA)ابن مسطنبعل[2] وبعد هذه الفترة تأزمت الأوضاع في نوميديا إلى غاية الاحتلال الروماني 49 ق- م.

و قد افترض محمد العيد بشي فنظر أنه وجدت ثلاثة نظم إدارية الأولى وتمثلت في الإدارة المركزية ومركزها بالعاصمة و الثانية هي الإدارة القبلية فعلى رأس كل قبيلة رئيس ويحصل على سلطته إما من القبيلة أو أن الملك يعينه رئيسا لها أما الإدارة الثالثة وهي إدارة المدن و التي تتمتع باستقلالية واسعة في تسيير مصالحها[3].

حارب يوغرطة حتى وفاته لإيقاف الزحف الروماني، خاصة عندما بدأت المناوشات بينه وبين الرومان بعد أن حاولوا تقسيم الدولة النوميدية إلى ثلاث دويلات، فقاومهم و انتصر عليهم سنة 116 ق- م ونجح في توحيد نوميديا، و أصبح حاكما لكيرطا سنة 112 ق.م لكن الرومان استعملوا ضده أسلوب المخادعة للتخلص منه وهكذا استعملوا صهره أي والد زوجته الذي توسط بين يوغرطة وقادة روما ولكنه ألقى القبض عليه سنة 106 ق.م [4]

[1]-محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع السابق، ص56.

[2]-فتيحة فرحاتي، المرجع السابق،ص222.

[3]-محمد العيد بشي، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديم،(دراسة حضارية في ما قبل التاريخ)،(ب،ط)،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر،1994، ص 185.

[4]-عمار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146 ق.م -235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص5.

بدأ خضوع منطقة شمال إفريقيا لنفوذ الرومان، بقضائهم على بقايا القرطاجيين ونفوذهم في المنطقة سنة 146 ق.م و أنشأوا بالمنطقة حصونا تعرف ب " الليمس"، كان دورها عسكريا بالدرجة الأولى، حيث تعتبر حصنا متقدما للقوة العسكرية، كما لها دور اقتصادي متمثلا في مراقبة الطرق التجارية، وكونه مركزا للتبادل بين الرومان و القبائل المحلية، وتتمثل الوسيلة الثانية التي اعتمدها الرومان في استمالة القبائل المغاربية[1]. ومنحها بعض الامتيازات كالإعفاء من الضرائب حتى تبقى وفية لهم، وتتمثل الوسيلة الثالثة في وصول بعض المغاربة إلى درجة الحصول على حق المواطنة الرومانية، فسخرتهم بذلك، لإخماد الثورات التي كانت تقوم بها قبائل أخرى، غير موالية للرومان. وانتهت هذه الوسائل من تمكن الإمبراطورية من بسط سيادتها منذ نهاية النصف الأول من القرن 1م بهيمنتها على موريطانيا الطنجية، القيصرية، نوميديا وكل الممالك البربرية بإفريقيا الشمالية[2].

تحولت نوميديا بعد هزيمة يوغرطة إلى غنيمة في يد الرومان، وبدل جعلها عمالة تابعة لروما، نصبوا عليها ملوكا محليين على شرط قيامهم بمد روما بالثروات الإفريقية، وبذلك تم تقسيم مملكة نوميديا إلى ثلاثة ممالك، استأثر فيها بوكوس بالجزء الغربي جزاء عمالته، في حين حصل غودا على الجزء الشرقي، أما ماستانونزوس فقد حصل على الجزء الأوسط من مملكة نوميديا الموزعة[3].

كانت نوميديا في عهد يوبا الأول بعد خلفاء بوكوس الذين تميزوا بإقامة علاقات ودية مع روما، ظهر ملك نوميدي آخر، وهو حفيد ليوغرطة وكان اسمه يوبا الأول. هذا الأخير عمل على نهج أجداده يوغرطة و ماسينيسا لبناء دولة نوميدية مستقلة تكفيهم التدخلات الأجنبية.

[1]-جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2008، ص6.

[2]-عمار المحجوبي، المرجع السابق،ص60.

[3]-محمد بيومي مهران، مصر و الشرق الادنى القديم (المغرب القديم)، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،مصر،1410هـ،1990م.، ص 291.

وفي سنة 48 قبل الميلاد، بدت الفرصة سانحة لتحقيق هذا المأرب، ذلك أن صراعا قام بين بومبي و قيصر حول حكم روما. واعتقد يوبا الأول أن النصر سيكون حليفا ليومبي وراهن على حلف بينهما غير أن النصر كان مخالفا لتوقعات يوبا الأول. وتمكن قيصر من هزمه خصمه بومبي. ففي سنة 46 قبل الميلاد تمكن الجنود الرومان و جنود كل من بوكوس الثاني وبوغود الثاني من تحقيق نصر ضد جيوش يوبا الأول وبومبي.

بعد هزيمة يوبا الأول فقدت نوميديا استقلالها السياسي، وكانت نهايتها عام 46 ق.م بعد مرور مائة سنة على ذكرى سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م ، وبهذا دخلت نوميديا فترة جديدة وهي فترة الحكم الروماني[1].

2)موريطانيا:

مملكة موريطانيا التي يذهب المؤرخون أن تقدمها بصفة عامة أكثر بطئا من نوميديا وربما كان هذا القصور بسبب نقص المعلومات[2]، حيث حكم بوخوس الثاني الجزء الشرقي منها خلفا لبوخوس الأول، أما بوغيد(BOGOUD) فقد حكم الجزء الغربي منها غرب ملوية فوسع بوخوس مملكته على حساب نوميديا وبعد سنوات قليلة أيد بوغيد (73-30 ق-م)[3].

هذا وقد صارت كل هذه المملكة بعد موت بوخوس في عام 33 ق.م ومقتل بوغيد في عام 31 ق.م خالية من أي حاكم وطني. وكان في إمكان روما ضمها إليها مباشرة، غير أن القيصر جايوس أوكتافيوس و الذي صار امبراطورا يحمل لقب أغسطس (27 ق.م- 14م)،نصب سنة 25 ق.م يوبا الثاني ابن آخر ملوك نوميديا وهو يوبا الأول على موريطانيا دام حكمه أكثر من 40 سنة، (25 ق.م- 15 م) وقد قام في موريطانيا بدور بارز و فعال[4].

[1]-محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق ص 85.

[2]-محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 293.

[3]-محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق،ص96.

[4]-محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 293.

وجاء بعد يوبا الثاني ابنه بطلميوس الذي حكم موريطانيا فترة (23- 40م)، الذي قتله الامبراطور الروماني كاليجولا فيما بعد (41م) ليتم بعد ذلك تقسيم المنطقة إداريا.[1]

المطلب الثاني : بلاد المغرب في ظل نظام البروقنصلية

قبل التطرق للنظم الإدارية في ظل الاحتلال الروماني أو ما يسمى بالبروقنصلية في الفترة الممتدة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث ميلادي، يجب الإشارة إلى أن بلاد المغرب بقيت مدة قرن من الزمن من 146 ق.م تاريخ سقوط قرطاجة إلى 46 ق.م تاريخ معركة تابسوس التي انتصر فيها الرومان على يوبا الأول و التي من أهم نتائجها بداية الوجود الفعلي الروماني في بلاد المغرب القديم –خارج السيطرة الرومانية الفعلية- ، وهذا راجع لمجموعة من الأسباب، حيث يرى بعض المؤرخيين الغربيين أن سبب تأخر غزو بلاد المغرب من طرف الرومان بمنطقة المغرب القديم [2]. يرجع الى اندلاع الصراع مع الامبراطورية القرطاجية سنة 264 ق.م عندما وقفت هذه الأخيرة سدا منيعا في وجه توسعات الرومان في حوض البحر المتوسط[3].(**أنظر الملحق رقم 1**)، **ص(98)**

1- النظم الإدارية:

تميزت الإدارة الرومانية باللامركزية[4]، - وهذا باستثناء الفترات التي لم تكن فيها هذه المقاطعات خاضعة للحكم العسكري المباشر- وهو نظام يتيح حرية محدودة لحكام المقاطعات للتصرف فيها. حيث جرى تطبيق أسلوبين من النظم الإدارية في نوميديا وهما: حكم إداري مدني في الشمال وحكم إداري عسكري في الجنوب طيلة العهد الامبراطوري الأول، وتم تقسيم بلاد المغرب إلى أربع مقاطعات:

[1]-المرجع السابق ،ص 297.

[2]-مها محمد السيد، الحصون و التحصينات الدفاعية في شمال افريقيا في العصر الروماني، مصر، 2008،ص2.

[3]-محمد فوكه، مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني، مجلة عصور الجديدة،عدد 11-12 ، وهران، الجزائر، فبراير 2014،ص09.

[4]-محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 76.

- افريقيا البرو قنصلية **AFRICA PROCONSULARIS** .
- نوميديا **NUMIDAE** .
- موريطانيا القيصرية **CAESARIENSIS** .
- موريطانياالطنجية **TINGITANA**[1].

أ) إفريقيا البرو قنصلية:

نشأ هذا المصطلح منذ سنة 41 ق.م أثناء عهد سيلا (SYLLA)، حيث لقب نائبه المكلف بالبروقنصل بعد انتصار أوكتافيوس بروما عن معارضيه، ولقب بأغسطس في 27 ق.م وكانت البروقنصلية تشمل كل من افريقيا القديمة، وإفريقية الجديدة. وحدودها لبدة شرقا، ومقنة غربا حتى هيبون– عنابة – شمالا، وغدامس جنوبا[2].

كما ضمت إليها مملكة سيتيوس(SITTIUS)، ابتداءا من سنة 44 ق.م و البروقنصلية مرتبطة بحاكم [3]من مجلس الشيوخ حيث يمكن اعتبارها مستعمرة استطانية لقدماء الجيش[4].

ب) نوميديا NUMIDIE :

كانت نوميديا تابعة للبروقنصلية من الناحية القانونية، بعد أن احتلها أغسطس عند سقوط مملكة يوبا الثاني، حيث تمتد من الجزائر (ايكوزيوم) و (أيول شرشال) غربا إلى غاية روسيكاد شرقا غير أن حاكمها له صلاحيات

[1]–أحمد حسن السلماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر،ط2، الجزائر،2017،ص221.

[2]–محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق،ص 79.

[3]–القاضي أو الحاكم في روما PRAETOR، للمزيد من المعلومات أنظر: سالوست،الحرب اليوغرطية،(ب،ط)،تر محمد المبروك الدويب،منشورات جامعة بنغازي،ليبيا،2004، ص14.

[4]–محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص185.

أمنية وله سلطة الإشراف على الأراضي الواقعة جنوب منطقة إفريقيا القديمة[1]، ومنطقة المدن الخمس طرابلس، وتعتبر جميع أراضي نوميديا ضمن المناطق العسكرية، وهي مقاطعة أمنية أكثر منها إدارية[2].

ج) موريطانيا القيصرية MOURITANIE CESARIRNNE :

أنشأت الإدارة الرومانية مقاطعة موريطانيا في سنة 42م، و التي شملت القسم الغربي من مملكة نوميديا، امتدت من واد ملوية (MULUCHA) غربا إلى غاية الوادي الكبير (AMPSAGE) شرقا. في حين يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب امتدت الحدود في العمق، مرورا بالمناطق الداخلية وصولا إلى جبيتوليا[3](**أنظر الملحق رقم 2**)،**ص (99)**.

سميت المقاطعة بموريطانيا القيصرية، نسبة للعاصمة القيصرية (CESARE) سنة 25 ق م وهي شرشال اليوم، ونصبت السلطات الرومانية الملك يوبا الثاني [4]على رأس المقاطعة . الذي ل يكن له أي استقلالية عن هيمنة الرومان كحكم غير مباشر. حيث يعين بأعلى السلم الاداري موظفا من أعضاء مجلس الشيوخ يحمل لقب: حاكم المقاطعة أو القاضي LEGAT/PROPRETEUR

كما أشرنا سابقا، فقد خلف بطليموس والده يوبا الثاني، حيث ذهب في زيارة ودية إلى روما في عهد الإمبراطور كاليغولا (41م)[5]. وكان بطليموس قد ارتدى ثيابا فاخرة تفوق لباس الإمبراطور. فحقد عليه و أمر في الحال بإعدامه وبموته انتهت مملكة موريطانيا وحولت إلى ولايتين رومانيتين وبذلك سيطر الرومان على الشمال الافريقي كله من

[1]–محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديمة، المرجع السابق، ص 76.

[2]–محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص 185.

[3]–محمد قاسم، الوضعية الاجتماعية و الديمغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42 م إلى سنة 284م ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة وهران 01، الجزائر 2015،ص 14.

[4]–يوبا الثاني ملك نصبه أوكتافيوس 25 ق م ملكا على مملكة موريطانيا تميزت فترة حكمه بثورة الجيتول من سنة 03–06م و تورة المزالمة بقيادة تاكفيريناس من 17م إلى 24م، أنظر : محمد قاسم المرجع السابق، ص16.

[5]–محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق،ص82.

طرابلس إلى طنجة وضم كلاوديوس (CLAUDUIS) مقاطعة موريطانيا، إلى روما بعد اعتلائه للعرش 42م وقسمها الى ولايتين: موريطانيا سيزرينس (موريطانيا القيصرية) و موريطانيا تنجتانا[1](موريطانيا الطنجية) نسبة إلى عاصمتها تنجيس (TINGIS)، وهي طنجة الحالية[2].

د)موريطانياالطنجية MAURETANIA TTINGITANA :

كما ذكرنا انفا في عهد القيصر كلاوديوس سنة 42 م أمر بتقسيم موريطانيا إلى إقليمين هما موريطانيا القيصرية و موريطانيا الطنجية في أقصى الغرب، حيث أن الطنجية وجدت على الخصوص في منطقة شمال المغرب الحالي و اتسعت مملكة موريطانيا في عهد ملوكها الكبار حتى حدود تونس، وكانت عاصمتها طنجيس- طنجة حاليا- وكانت مشهورة بزراعة القمح حيث كانت مقر إقامة وكيل الامبراطورية الذي يمثل دور القنصل الروماني الذي يشرف على قوات الاحتلال الاضافية.[3]

[1]-محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص184.

[2]-محمد قاسم، المرجع السابق،ص17.

[3]-محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص186.

الفصل الثاني

بوادر انحطاط الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم

المبحث الأول: أسباب انحطاط الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم

المطلب الأول أسباب سياسية عسكرية

المطلب الثاني: أسباب اقتصادية

المطلب الثالث: أسباب اجتماعية

المبحث الثاني: مقاومات سكان بلاد المغرب التي أنهت الاحتلال الروماني

المطلب الأول: ثورة الدوارين الريفيين

المطلب الثاني: ثورة جيلدون

المطلب الثالث: ثورة فيرموس

المبحث الأول: أسباب انحطاط الامبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم

إن المتتبع لسير الاحتلال الروماني ببلاد المغرب يلاحظ ذلك السير المتباين له مع كل انتشار وتوسع لاحتلال أراض وضمها لممتلكات الإمبراطورية، عن طريق التحصينات الأمنية لوحدات الجيش بأنواعها وأحجامها، لكن الواقع أثبت أن السيطرة على الأرض لم تكن إلا بسيطرة نسبية على الأمن والسلم الروماني في شمال المغرب القديم بحيث بدأ الوجود الروماني في التقهقر والانحصار بعد سنة (235م)، وعرفت المنطقة المغاربية بعدها أخطر الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية التي أدت بانتفاضات وثورات عبر كل الجهات و المناطق خاصة في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي والتي كانت سببا في زوالها ، ولعل أشهرها ثورة "فيرموس" وأخيه "جيلدون" والتي ساهم فيها الأهالي بصفة كبيرة وفعالة إلى جانب الثورة الدوناتية ذات الطابع الاجتماعي والديني.

المطلب الأول: أسباب سياسية عسكرية:

فقد تمثلت هيمنة الجيش الروماني على بلاد المغرب في إحداث مستعمرات ومزارع لجنوده الذين أحيلوا على التقاعد أو المهاجرين الأجانب، على حساب الفلاحين و الرحل من المغاربة الأصليين، الأمر الذي جعل هؤلاء الأخيرين يلتجئون- نتيجة تعسف أو ضغط من الوحدات العسكرية التي أصبحت تجاور ممتلكاتهم- في العديد من المرات إلى السهوب و الصحراء أو المناطق الجبلية، وفي كثير من الأحيان كانوا يمثلون مصدر التذمر و القيام بالحراك الثوري الذي اعتبر بمثابة رد فعل على سياسة الجيش الروماني التوسعية، خاصة بعد إنشاء نقاط التماس

بين وحدات الجيش و القبائل الرعوية بتهديد ثالوث قوافلها.*

ذلك التهديد خلق مشاكل أمنية عانت منها وحدات الجيش الروماني متمثلة أساسا في مواجهات عسكرية غير مباشرة كانت تشنها القبائل البدوية ضدها بحروب في شكل ضربات خاطفة و إتباع أساليب كروفر آتية من

*-ثالوث القوافل يقصد بها الماء و المراعي و الأمن، لأن القوافل و القبائل البدوية المتنقلة في السهوب لا تستغني عن الماء في أي وقت من الأوقات، سواء كان الوقت صيفا أم ربيعيا أم شتاءا، و المراعي تأتي في المرتبة الثانية من شرايين حياة القبائل الرعوية، فلا يمكن لهذه القبائل أن تتجاهل المراعي فيأي وقت، و أماكن المراعي يعني عنصر حيوي لحياة مواشيها، بالإضافة إلى الأمن، فهي تبحث عن استقرار و أمن في المناطق التي ترتحل إليها وتنتقل، لذلك يزعجها أي تواجد لأي خطر يهددها، راجع ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مطبعة الخانجي، مصر، ب ت، ص270.

الجبهة الجنوبية السهبية و الصحراوية، و المعروف أن الجيش الروماني تدريبيه القتالي على الحرب النظامية المباشرة عكس تلك الأساليب المذكورة.[1]

وعن أسباب اندلاع الحركات الثورية المغاربية ضد الوجود الروماني وإنهائه فهي عديدة كان أهمها تلك السياسة التوسعية للاحتلال الروماني، فقد مثلت الفترة السيفرية أوسع مرحلة انتشار عسكري ببلاد المغرب القديم، و التي حملت معها مشاريع تأسيس الكثير من القلاع و الخطوط الدفاعية التي اصطدمت بردود فعل محلية معادية كانت سببا في إنهاء الوجود العسكري الاستيطاني الروماني ببلاد المغرب فيما بعد، ولا نستبعد أن تكون هذه الثورات وراء إقامته للقلاع السالفة الذكر، التي استهدف من ورائها حماية الإقليم من غارات الأهالي.

ورغم قلة المعلومات حول الإحداث في كل من اقليم افريقيا البروقنطية ومقاطعة نوميديا إلا أن الموريطانيتين القيصيرية والطنجية عكس ذلك.

فالنصوص الأدبية و النقوش التي حددت الصلات العسكرية بين المقاطعتين، يمكن أن يستشف منها الوضع العسكري العام بهما، كما أن عددا من النصوص تحدثت عن النشاط العسكري الروماني ضد أولئك الموريين وبالأخص في عهد سبتيموس سيفروس[2].

وما نلاحظه في الاطار التاريخي للمقاومة المغاربية وحراكها الثوري، أنها توسعت وزادت عملياتها في عهد الامبراطور سيبتيموس بسبب محاولة التوسع جنوبا، وهو تحد للمغاربة الذين تحالفوا في ذلك الحراك الثوري وبالأخص في الفترة ما بين (209م-211م) منه تحالف قبائل البوار- الذين أشارت إليهم العديد من المصادر الأثرية وتواجدوا

[1]- هذا النوع من الحروب يتم غالبا على المساحات غير المحدودة التي تتساوى فيها كل الأمكنة، ففي البوادي والصحراء المترامية بتشابهها وامتداداتها المجدية، يعيش القبائل والرحل التي يكون رجالها عادة رعاة أو صيادين، يمارسون بالغريزة عمليات الإزعاج في الحرب وحيل نصب الشراك، ويوضح العلامة ابن خلدون في هذا الجانب أن طرق الحرب تنقسم إلى نوعين أساسيين: نوع بالزحف- أي مباشر- وينسبه إلى العجم ونوع بالكر والفر- غير مباشر- وينسبه إلى أهل المغرب، فأما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم، وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب، وهذا يوضح لنا طبيعة القبائل المغاربية في محاربتها لأي دخيل أجنبي على مر العصور، راجع ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، المرجع السابق ، ص271.

[2] -Ferzouls (E.), «la résistance armée en Maurétanie Césarienne de l'annexion à l'époque sévérienne : un essai d'appréciation » C.I., T29 (1981), pp. 41-42.

في أكثر من مكان كالغرب الوهراني، عين الرواء، وليلى، تنس، ميلة –مع قبائل الفركسيانس، وانضمام قبائل الحلف الخماسي بجبال جرجرة وغيرهم إلى تحالف عسكري أشارت إليه الوثائق على أنه ضم أربعة ملوك موريين.[1]

أما في عهد خلفاء سبتيموس وهم كركلا و الاسكندر (211م-235م) فنجد أن ذلك الحراك الثوري قد خف قليلا نظرا لتوقف ذلك التحدي من جاني المؤسسة العسكرية الرومانية في توسعاتها و الاحتفاظ بمكتسبات ما حققه سبتيموسسيفروس. إلا أن ذلك لم يمنع من مواصلة الحراك جنوب مقاطعتي نوميديا و القيصرية فقد وجدت بعض النقوش تؤكد اندلاع بعض الاضطرابات في جنوب نوميديا و القيصرية فقد وجدت بعض النقوش تؤكد اندلاع بعض الاضطرابات في جنوب نوميديا و القيصرية ضد وحدات الجيش الروماني حوال سنة (227م) في كل من سور الغزلان ومناطق جنوب سطيف مثل قلعة خربة عين السلطان وقلعة عين ملول وغيرها[2]

وهناك أسباب يمكننا إضافتها إلى إمتداد ذلك الحراك زمن حكم الإمبراطور الاسكندر سيفروس وهي تلك القلاع العسكرية التي بناها هذا الأخير، على امتداد طول المقاطعتين القيصرية و الطنجية، خاصة عام (234م) إذ تشير نصوص سيرة حياة الاسكندر سيفروس إلى قمع الثورات في هاتين المقاطعتين وهو ما يؤكده نقش عثر عليه في وليلي بالطنجية يشير إلى اتفاق سلام بين الأهالي الممثلين في قبائل البوار و البقواط، وحاكم مقاطعة الطنجية[3].

اعتبرت فترة حكم السيفريين بمثابة فترة حاسمة بالنسبة للاحتلال الروماني ببلاد المغرب القديم، حيث وصلت الجيوش الرومانية إلى أقصى امتداد لها، وقد دلت سنوات منتصف الثالث ميلادي مدى الخطر الذي كان يتعرض له الرومان على أقصة شرق حدود بلاد المغرب الشرقية في منطقة برقة، خاصة بعد اغتنام قبائل المارماريكا فرصة الفوضى التي أعقبت زوال حكم الأسرة السيفرية عن عرش روما و أغارت على منطقة برقة و اكتسحت قورينايي، وقد كانت حدود برقة منذ بداية ضمها للرومان وتبعيتها آنذاك إداريا لمجلس الشيوخ الروماني تتعرض في العديد من المرات لغارات

[1] – من ردود الفعل المعادي للوجود الروماني ببلاد المغرب القديم هناك عدة اعمال للمؤرخ لوفو تتطرق لذلك انظر لوفو :

-Leveau Ph .,« Un nouveau témoignage sur la résistance maure en Maurétanie Césarienne centrale »,dans AA, t. 8, 1974, p. 103-110.

« Pays ans maures et villes romaines en Maurétanie Césarienne centrale (la Résistance des populations indigènes à la romaisationdans l'arrière-pays de Caesarea de Maurétanie) »,.dans MEFRA, 87, 1975, p. 857-871

[2] - CAMPS G.LES BAVARES .Les Bavares, peuple de Maurétanie Césarienne, Rev. Afr, 1955.PP.242-245.

[3]-Lampridius (Aelius), Alexandre Sévère, 58.3. Dans l'histoire Auguste, trad. M. Nisard, Éd.Firmin didot, Paris, 1855.

القبائل الليبية المجاورة لبرقة، وهذا راجع لقلة وحدات الجيش الروماني بها إذ برهنت تلك القوات فشلها قبل ذلك من إيقاف الثورة اليهودية عندما بدأت عام (115م) الأمر الذي جعل قيادة الجيش الروماني ترسل تعزيزات عسكرية لإخمادها.[1]

أدى النقص المستمر في عدد الجنود إلى إتباع سياسة مهادنة من طرف السلطات الرومانية مع القبائل الليبية قد الإمكان، و الحفاظ على أمن وجودهم في إقليمي برقة و طرابلس، كما حاولت جاهدة تنظيم علاقاتها معهم لنيل رضاهم وعدم استفزازهم، غير أن طبيعة رفض القبائل المبدئي في وجود الرومان بأراضيهم أو بالقرب من مواردهم أدى بأكبر القبائل وهي المارمارياداي القاطنة قرب منطقة برقة معاودة الحراك الثوري على مناطق خاضعة لسلطة الرومان في الفترة مابين (268م-270م) ولولا المساعدة العسكرية الفورية لحاكم مقاطعة مصر الروماني تيناجينو بروبوس (TENAGINO PROBUS)(269م-270م) الخبير في حروب الصحراء و قيامه بقيادة الحملة العسكرية الموجهة ضد قبائل المارمارياداي وإنقاذ مدينة قوريناي التي

دمرت نهائيا بعد تخريب أجزاء كبيرة منها خاصة الأجزاء التي تحمل صبغة رومانية، ليقوم تيناجينو بروبوس بترميمها وبناءها[2].

وقد رأى دقلديانوس أثناء حكمه أنه من الضروري إعادة تنظيم الدفاع و التحصين وزيادة أفراد الجيش بتلك المناطق الشرقية لبلاد المغرب ضمن سياسته الاصلاحية العامة للجيش[3] غير أن المصادر تشير مرة أخرى إلى عودة الاضطرابات الأمنية المتفرقة عن طريق غزوات قبائل الأستوريون المحلية الذين ظهروا لأول مرة في المصادر الرومانية عند قيامهم بغزو منطقة طرابلس في الفترة ما بين (363م-365م) ومنطقة برقة بدءا من سنة (390م) كما أن أخطر غاراتهم كانت في المناطق الداخلية لخليج السرت الكبير، لتتوسع مع حلول سنة (399م) وتشمل جانبي خليج سرت الغربي (شرق طرابلس) وسرت الشرقي (غرب برقة).[4]

[1]- عبد العليم مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم،المطبعة الاهلية،بنغازي،1966،ص99.

[2]- المرجع سابق، ص99.

[3]-عن إصلاحات الإمبراطور دقلديانوس العسكرية راجع: سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري، دار النهضة العربية،القاهرة،ط1991،2،ص،ص395-426.

[4]-عبد العليم مصطفى كمال، المرجع السابق،ص281.

وبالرغم من قوة وفعالية تلك الثورات إلا أنها تميزت بالثورة غير المنظمة وتفتقد لجيش نظامي بقيادة موحدة يقوم بعمليات عسكرية قتالية ندية ومباشرة لأقوى جيش في ذلك العصر، فكانت تتعرض إلى الهزائم من الحين للآخر، غير أن النشاط الثوري المغاربي ضل متواصلا وخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي حيث ظهرت ثورات مغاربية منظمة أخلت بتوازنات وقدرات الجيش الروماني بالأقاليم المغاربية وفرضت عليه حروب مباشرة قوية هددت كيانه بالزوال ومن أبرز تلك الثورات ذات التهديد الفعال و المباشر للوجود العسكري الروماني في بلاد المغرب نجد: ثورة الدواورن الريفيون، ثورة فيرموس وثورة جيلدون اضافة الى الحركة الدوناتية و عن هذه الاحداث سنتطرق إليها لاحقا[1].

ورغم عدم سردنا لوقائع و أحداث هذه الثورات إلا أننا نستنتج أن الوضع الأمني لبلاد المغرب كان في تدهور كبير وينذر بتلاشي دور الجيش الروماني، وأنه لولا ذلك المدد الكبير القادم من وراء البحار، وبإشراف قيادة إمبراطورية كبيرة على سير المعارك، لكانت النهاية الحتمية لجيش قليل العدد ومركز على مناطق معينة من الحواف الشمالية لبلاد المغرب وتحيط به قبائل معادية من كل جهة.

لقد كان الضعف الأمني يسري في جميع مقاطعات الإمبراطورية وليس في مقاطعة معينة، وهو الضعف الذي استثمرته الشعوب المغيرة على أطرافها ولم تخص هذه الأطراف جهات معينة بل جميع الجهات وبلاد المغرب كان إحداها حيث تعرضت أراضيه إلى غزو آخر تمثل في الغزو الوندالي الذي أنهى الوجود العسكري الروماني بالمنطقة في العقود الأولى من القرن الخامس الميلادي و الذي سنتطرق إليه في الفصل اللاحق[2].

المطلب الثاني: أسباب إقتصادية:

كانت الفترة التي بدأت باحتلال الجيش الروماني لجزء من بلاد المغرب القديم عام (146 ق.م) واستثمرت حتى قيام الإمبراطور دقلديانوس بإصلاحاته سنة (284م) قد خلفت ورائها سياسة عسكرية متحيزة لأقلية من المغامرين وقدماء الجيش الروماني من أجل استغلال ثروات بلاد المغرب الغنية على حساب سكانها الأصليين الذين شكلوا الغالبية العظمى من السكان[3].

[1]- عبد العليم مصطفى كمال، المرجع السابق ص،99.

[2]- العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429م-534م، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة،2010،ص،46.

[3]- موسى معمر زايد ، الإجراءات الاستعمارية الرومانية على منطقة المغرب القديم خلال القرنين 1 و 2 م ،مج ع إ و إ ،ع1،2016،ص،184.

لذلك خلفت السياسة الأمنية الرومانية التي انتهجها أباطرة الرومان في بلاد المغرب والتي تعود خلفياتها إلى ما قبل عام (146 ق.م) نتائج كثيرة أثرت بصفة مباشرة وكبيرة على الغالبية العظمى من الأهالي و التي كانت الطبقة الأكثر فقرا في الهرم الاجتماعي الذي عمل به الرومان في المنطقة المغاربية، وما سنتناوله في هذا المطلب إلقاء الضوء على بعض الحقائق، وعلى ما نتج من وراء تلك السياسة الأمنية القائمة على الانتشار العسكري التي كانت تعمل جهارا من أجل الصالح العام للرومان ، ومن الأسباب التي أدت إلى تقهقر الوجود الروماني مايلي:

1- التدهور الزراعي:

انعكس التدهور الاقتصادي أساسا على الزراعة إذ أصبحت حدود الإمبراطورية في القرن الثالث ميلادي مناطق تنازعها رياح القلق و الفوضى فانتشرت فيها المعسكرات الرومانية و القلاع و الحصون، و أخذت تعج بالقوات المحاربة وعاد كل ذلك على الزراعة بأوخم العواقب فنزل بها التلف و الخراب، و أصاب الجفاف مساحات هائلة من الأراضي الزراعية، ولحق التدمير بالمزارع ومبانيها ومخازنها، فصعب على مالكي الأراضي الزراعية، ولحق التدمير بالمزارع ومبانيها ومخازنها، فصعب على مالكي الأراضي الزراعية استصلاح ما تخرب منها و البدء من جديد لقلة المال وارتفاع التكاليف، لاسيما محصول القمح، وبات من الواضح منذ منتصف القرن الثالث أنه لم يعد لبلاد المغرب قيمة في منتجاتها رغم المناطق الصالحة لزراعة القمح التي اهتمت بها السلطة الرومانية من قبل وهي السهول الساحلية و العليا، الممتدة من شمال غرب البروقنصلية إلى الطنجية منها، سهل مجرد سهول نوميديا كعنابة وسهول سطيف وقسنطينة، وسوسة ووليلي...، بعدما كانت مخزنا غذائيا للرومان وذات اهتمام زراعي وفلاحي خاص، منذ إصلاحات نيرون (37 م -68 م) و اعتماد نصيب الأسواق الرومانية من حبوب المغرب بثلثي الكمية التي تحتاجها هذه الأسواق لتلبية حاجيات السكان.[1]

كان إنشاء المستعمرات لحل أزمة تزايد السكان أمرا واقعا لدى الرومان منذ العهد الجمهوري و إن كانت اعتبارات عسكرية قد أسهمت في إنشاء بعض المستعمرات و أملت اختيار الأماكن التي أقيمت فيها، ويقوم دليلا يدعم امتزاج الاعتبارات الاقتصادية و العسكرية أنه كان يختار لإنشاء المستعمرات مواقع إستراتيجية من مناطق المغرب القديم، ليستطيع المستعمرون الدفاع عن مستعمراتهم... فقد تحولت معظم ملكيات المغرب القديم إلى ملكيات واسعة خلال فترة حكم الأسر المتعاقبة كالأسرة اليوليو كلاودية (27 ق.م-69م) و الأسرة الفلافية(69م- 96م) و

[1]-Cagnat R « lannoned'afrique » in extrait des mémoires de l'académie des inscriptions et belles lettre t.xl.paris.1915.p6.

الأسرة الأنطونية (96م- 192م) و الأسرة السيفرية (193م-235م)، وذلك نتيجة لسياسة المصادرة حتى وصلت مساحة المقاطعات الرومانية إجمالا في المغرب القديم بحوالي (765000 كلم2)[1].

ففي عهد الامبراطور تراجان قامت السلطة الرومانية العمل على تشجيع زراعة اشجار الزيتون بمنح امتيازات للفلاحين الذين يقومون بزراعة هذا المنتوج و من ذلك احد النقوش يذكرنا بتلك الامتيازات يعود إلى نفس الإمبراطور، وقد انتشرت زراعة الزيتون خاصة في سهل مجردة و المنطقة الشمالية الشرقية من البروقنصلية ونوميديا وبعض المناطق من موريطانيا القيصرية مثل سطيف وشمال الأوراس و الحضنة وسهل وادي الشلف، أما موريطانيا الطنجية فنجد زراعة الزيتون متمركزة خاصة في طنجة و لم تكن للزراعة الشجرية كزراعة أشجار الزيتون أهمية اقتصادية فقط، بل أمنية إذ اعتبرها وسيلة للحد من تمرد وثوران القبائل البدوية ومنعها من التحرك المستمر و الدائم وراء المراعي بالمناطق الشبه داخلية، كما باستطاعة زراعة الزيتون أن تثبت استقرار البدو و تشجعهم في ذلك من خلال عملهم في المزارع الجديدة، للزيادة من الكثافة السكانية في المناطق السهبية و الشبه صحراوية[2].

لذلك اضطر بعض الأباطرة كأوريليانوس (270م-275م) وخلفائه إلى إصدار قرارات الهدف منها تامين مزارعين للحقول المهملة، غير أن قلة المحاصيل الزراعية أدت إلى استحالة مواجهة الضرائب الفادحة التي وقع عبئها على صغار المزارعين و المستأجرين في الوقت الذي كان فيه كبار الملاك الزراعيين لا يلتزمون بدفع ما يستحق عليهم من ضرائب، فكثيرا ما كان المزارع الصغير يعجز عن الوفاء بديونه في موعدها، الأمر الذي يضطره إلى رهن أرضه لكبار الملاك الزراعيين أو النزوح إلى المدن للانغماس في زحمتها و الانضمام إلى جموع البطالين الذين ازدحمت بهم المدن[3].

وأمام تلك الظروف أجبر قادة الجيش تخصيص مصادر مهمة مباشرة من الغذاء و الماشية فحملت السلطة الرومانية المزارعين و المنتجين الآخرين مسئولية توفير ما قد يحتاجه الجيش، والنتيجة بالطبع كانت فوضى وترهيب و إرغام، وفي النهاية أجبر الأفراد و أرغموا على الاستثمار و العمل و الإنتاج، ولو بدون فوائد، وابعد من ذلك أثرا تلك الضريبة المعروفة باسم التموينية العسكرية(annonamilitaris) التي فرضت على الأهالي لتموين وحدات الجيش،

[1]-Despois (J.), l'Afrique du nord, 3eme Ed, Paris, P.U.F. 1964..p07.

[2]-Camps Faber (H.), L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Alger, 1953.pp 21-25.

[3]-تشارلزورث، الامبراطورية الرومانية،ترجمة رمزي عبده،مراجعة محمد صقر،مصر،1999،ص17.

إذ كان الأهالي ملزمين بتقديم المئونة عندما يطالبون بها وبالقدر الذي تقتضيه الظروف الطارئة، فكانت تلك الضريبة مرهقة لأرزاقهم اليومية ولم يعد في وسعهم الدفع، وعندما يستبد بهم اليأس يختفون عن أعين السلطات.[1]

لقد شجع الرومان ملكية الأراضي الخاصة، فزادت مساحتها، لأن الرومان كانوا يفضلون إرساء الجهاز المالي و الإداري على عاتق سكان يملكون عقارا ثابتا يكفل اضطلاعهم بالمسؤوليات ويضمن تحصيل التعويض منهم في حالة حدوث عجز أو نقص. ونجد أن الحكومة الرومانية قد صادرت جانبا كبيرا من الأراضي على أثر الغزو- خاصة ما كان تابعا إلى بيت الملك- وباعت بعضها في المزاد، بينما عرضت الأرض المهجورة أو غير المهجورة أو غير الجيدة للإيجار بشروط مرضية حتى تعزي الناس على استئجارها واستصلاحها للزراعة.[3]

وأصبحت من أسباب أهمية الأراضي في بلاد المغرب هو اختفاء الملكيات الصغيرة لدى صغار المزارعين من الرومان فيما بعد، وتحولت هذه المساحات إلى إقطاعيات شاسعة لدى الأغنياء منهم، بسبب ما دأب عليه هؤلاء من فرض قوانين تجعل من امتلاك الأرض الزراعية عبئا ثقيلا على صاحبه يدفعه إلى التخلص من ملكيته و التحول إلى مستأجركما أن هؤلاء الأغنياء استحدثوا مكان زراعة الحبوب الواسعة كالقمح زراعات تدر أرباحا مرتفعة أكثر من القمح مثل زراعة الكروم و الزيتون والبساتين.. كما كانت بعض من الأراضي تصادر من ملاكها نتيجة الديون المتراكمة عليهم لخزانة الدولة، فكان يتم الحجز على أراضيهم إلى أن يفوا بالتزاماتهم للدولة أو تصادر نهائيا، في حالة ما إذا كانت هذه المصادرة مؤقتة، أما إذا كانت المصادرة نهائية بسبب العجز عن السداد فإنها تؤول إلى الدولة المباشرة وتسمى أرض الدخل.[2]

2- التدهور المالي و التجاري

كان مع اقتراب نهاية القرن الثالث ميلادية أن وصلت روما بشكل واضح إلى أزمة اقتصادية حادة، في تلك الحالات لم يكن من الممكن الحصول علي المصادر المالية الكافية حتى من خلال الإلزام، وقد نتج عن السياسة الاقتصادية المتبعة في الإمبراطورية استمرار التضخم بسبب فشل تلك السياسة في تحقيق أحد أهم أهدافها ألا وهو الحفاظ على الاستقرار العام للأسعار و الذي كان ينذر بكارثة استمرار الانهيار الاقتصادي وحدوث آثار سيئة على

[1]-ميخائيل روستوفرزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاقتصادي و الاجتماعي، ترجمة زكي علي و محمد سليم سالم،ج1،دار النهضة العربية،القاهرة،1957 ،ص ص 445-450.

[3]- المرجع السابق ص ،ص 450،455.

[2]تشارلز ورث، المرجع السابق،ص47.

قيمة العملة النقدية المتداولة في مقاطعات الإمبراطورية، فالغزوات التي تعرضت لها الإمبراطورية في القرن الثالث في جميع الاتجاهات بما تخللها من نهب المزارع و إحراقها و إفساد المحاصيل وترك مساحات هائلة من الأراضي الزراعية خرابا، و الحاجة الماسة إلى المال لدفع رواتب الجند أجبرت الأباطرة على إنقاصقيمة العملة المتداولة، وكان نصيب الدينار الفضيdenarius في التدهور المستمر أكثر من الأوريوس (aureus) وغيره من العملات النقدية الأخرى.[1]

أما من حيث الجانب المالي فكان أساس النظام النقدي الروماني المعمول به هو نظام الدينايوس منذ الفترة الجمهورية إذ لم يتغير، وكان أكثر العملات تداولا حتى القرن الثاني ميلادي أين طرأ عليه تغيير خفض معيار الفضة الذي أقره الإمبراطور نيرون في عام (64م) من (96%) إلى (93%) واستمر إنقاص وزنها عند الحكام الذين أعقبوه، وكان القرن الثالث ميلادي عهدا في الخلل الاقتصادي جعل من الصعب على الأباطرة تدبر الأموال الكافية حيث كانت الحروب ضد القبائل باهضة التكاليف وبدلا من أن يقوموا بإصلاح نظام الضرائب وفرض ضرائب جديدة عمدو ببساطة إلى تخفيض قيمة العملة بإصدار المزيد من النقود، وعلى سبيل المثال فإن سيفريوس خفض قيمة الفضة في الدينايوس إلى (60%) من قيمته واقتفى به ذلك آخرون منه كراكرا سنة (212م) بخفضه الدينار الذهبي وسكه نقدا فضيا قيمته دينارين سماه انطونيوس (antonianus).[2]

اعتمدت السلطة الرومانية على التخفيضمن قيمة العملة لرفع الدخل، وقد تعهد بذلك كلوديوس جوثيكوس الثاني (claudius gothicus2) (268-270م) فخفض من قيمة الدينايوس الفضي بحوالي (02%) من قيمته. ونتيجة لذلك ارتفعت أسعار المواد الغذائية واسعة الاستهلاك كالحبوب التي كانت تباع بأسعار ثابتة خلال القرن الثاني ميلادي، ارتفع سعرها إلى أضعاف[3] مع أواخر القرن الثالث ميلادي، وهكذا نتج عن إنقاص العملة وماصاحبها من ارتفاع كبير في الأسعار التضخم، كما منع من يمتلك عملة فضية خالصة التعامل مع العملات المخلوطة الشائبة، فأدى ذلك إلى اختفاء المعادن الثمينة من التداول في وقت كانت الحاجة أشد ما تكون إليها وفي

[1]-عن التحولات التي عرفتها العملة الرومانية طيلة الثلاث قرون الأولى للميلاد راجع: تشارلزورث ، المرجع السابق ص ص،132-133.

[2]- تشارلزورث، مرجع سابق، ص ص445-450.

[3]-ميخائيل روستوفرزف، المرجع السابق،ص ص،445-450.

مثل تلك الأحوال السيئة التي تدهورت خلالها العملة النقدية، مسببة إضطرابات في الأسواق التجارية ورفع أسعار معروضاتهم[1].

إن بقاء الوضع على هذا الحال كان يهدد بضياع اقتصاد الإمبراطورية بمقاطعاتها الغنية و الفقيرة، ومع تولي الإمبراطور دقلسيانوس الحكم عمل ضمن إصلاحاته الكبرى في محاولة استباقية لوقف التضخم و الإبقاء على توازن أجور الموظفين خاصة العسكريين منهم، واضعا نظاما بعيد المدى يمكنه من خلاله التحكم في الأسعار على كل الخدمات و السلع، لدرء الصدع و إيقاف الحراك الاجتماعي الذي يعد بؤرة خلاقة لانتشار الفوضى الأمنية.[2]

ومن الواضح أن ما جرى من نفقات باهظة على حماية أمن المقاطعات داخليا وعلى حدودها حملت خزينة الإمبراطورية فوق ما لا تطيق، و ألقت على كاهلها عبئا جسيما، إضافة إلى الانتهازية و الأنانية في نهب المال العام بدءا من الأباطرة باعتبارهم حكام فعليين وقادة أولين للجيوش الامبراطورية، فمثلا نجد قصور الأباطرة ضخمة باذخة ورائعة بها حشد هائل من موظفي القصور و الخدم و الحراس، كل مصاريفها من الخزينة العامة للإمبراطورية، يضاف عليها نفقات الجيش الكبيرة على فيالقة ووحداته، وانتشار الرشوة و الفساد بين أفراده، وقسوة الموظفين على أهالي المقاطعات التابعة للإمبراطورية ونقل الضرائب المفروضة و أعباء الحروب الأهلية ،كل ذلك يفسر لنا أسباب المتاعب الاقتصادية الت عانتها الإمبراطورية خلال القرن الثالث ميلادي ومع نهايته، فأصيبت التجارة بالإضرار وتوقفت مسيرتها، ولم تعد طرق البحر المتوسط العظيمة تموج بالأساطيل التجارية الرومانية، بعد أن صارت وكرا يعج بقراصنة البحار و الطرق الرومانية البرية التي كانت دائما دليلا على عظمة التجارة الرومانية و إعجازهم الهندسي أضحت أطلالا غير آمنة لا تخلو من قطاع الطرق وتبعث الأسى في النفس.[3]

ويمكن القول أن ما عرفته الإمبراطورية من ازدهار تجاري في القرن الثاني لم يعد بإمكانها استعادته في معظم أنحاء مقاطعات الجزء الغربي للإمبراطورية، أما في مناطق واسعة فوصلت التجارة إلى درجة بالغة السوء فاختفى الإنتاج الكبير وحل في مكانه الإنتاج المحلي الذي يتم تصريفه محليا، وفي غياب عملة مستقرة حلت المقايضة في المعاملات التجارية بين الأهالي وهي طريقة لا تفي بالغرض المنشود[4].

[1]-تشارلزورث، مرجع سابق،ص16.

[2]- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص5.

[3]- المرجع السابق ،ص5.

[4]-تشارلزوث، المرجع السابق،ص16.

ثمة ظاهرة اتسمت بها فترة القرن الرابع ميلادي هي تألق منطقة آسيا الصغرى التي أصبحت همزة وصل حيوية في شبكة المواصلات واعتبرت منطقة منتجة للمواد الغذائية لتزويد الجيوش المرابطة في الشرق وفي الجهة الشمالية الغربية، واقترن تألقها أيضا بازدياد أهمية المضايق، منها إقامة دقلديانوس مقر قيادته في نيقوميديا ثم بلغت ذروة مجدها عندما وقع اختيار قسطنطين للمدينة اليونانية القديمة بيزنطة على الجانب الأوروبي لتكون مركزا للإمبراطورية الموحدة، وأصبحت القسطنطينية روما الجديدة وعاصمة للإمبراطورية.[1]

المطلب الثالث: أسباب اجتماعية دينية:

من السمات المميزة للإمبراطورية الرومانية اختلافها عن أي إمبراطورية قديمة أخرى، فمنذ اتساع دائرة نفوذها ضمت إليها شعوبا و أجناسا متباينة مارست أنظمتها الاجتماعية ومعتقداتها[2]الدينية ولغاتها وتقاليدها وقوانينها دون تدخل من السلطة الرومانية طالما أن تلك المعتقدات و النظم لا تتعارض مع سلامة و أمن الإمبراطورية من ناحية، ومادام السكان يدفعون الضرائب المقدرة عليهم من ناحية أخرى، كما ضلت الديانات الوثنية المحلية منتشرة في كافة أرجاءها، ورغم اختلاف كل ديانة عن الأخرى إلا أنها كانت مرضية لحاجات الأهالي الروحية لا السياسية أو الأمنية أو التحررية ، كما أنها لم تحدث انقلابات في مركز العبادات الرومانية السائدة وكانت مقبولة خلقيا ومأمونة سياسيا ولذلك نظرت إليها السلطة الرومانية نظرة تسامحية[3] .

و لكن مع ظهور الديانة المسيحية التي كان منطلقها التبشير بالمسيح الذي ولد في فلسطين زمن الإمبراطور أغسطس، أن انتشرت تعاليم ديانته في بلاد المغرب القديم، فلقيت إقبالا كبيرا بوصولها إلى الطبقة الكادحة من الفلاحين و المزارعين و الرعاة و الفقراء من الأهالي الوطنيين فكانت بمثابة أداة تحرير لهم من القوة القمعية و التعسفية للإدارة الرومانية المدعومة من الجيش.[4].

ومن المحتمل أن هذه الديانة تغلغلت إلى بلاد المغرب القديم عن طريق قرطاجة، التي دخلت إليها المسيحية عن طريق البحر بسبب النشاط التجاري لهذه المدينة وعلاقتها مع موانئ المشرق كأنطاكية و الإسكندرية..[5] ولم

[1]-محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، سوهاج، جنوب الوادي بمصر،1995،ص201.

[2]-عن هاته المعتقدات في بلاد المغرب القديم راجع: Picard.G.les religions de l'afrique antique .paris1954

[3]-painter.h.a history of the middle ages 248-1500. London.1971.pp11-12.

[4]-marcel.s. la civilisation de lantiquité et le christianisme.arthaud.france.1972.p17.

[5]-mesnagep.j.le christianisme en afrique. Origines développements.paris.1914.pp31.41.

يقتصر المبشرون على هذه المنطقة فقط بل واصلوا طريقهم نحو بلاد المغرب القديم غربا، وقد كان طريق البحر أكثر سهولة وربحا للوقت، ومهما يكن فإن حركة التنصير انتشرت في بلاد المغرب القديم من الموانئ الساحلية إلى المناطق الداخلية بأساليب مختلفة، كما استفاد الانتشار المسيحي في بلاد المغرب القديم أيضا من موقع قرطاجة نفسه الذي كان ملتقى طرق متوسطيا واسعا مع سكانه من أجناس مختلفة وميناء كبير على علاقة مباشرة مع روما. إضافة إلى الهدوء الذي تمتعت به منطقة المغرب القديم في العهد المسيحي أدى إلى دعم الانتشار السريع للمسيحية، حيث لم يظهر الاضطهاد الكبير فيها إلا في حوالي سنة (180م)[1].

وقد عرف هؤلاء الداخلون من أهالي بلاد المغرب في الدين الجديد (المسيحية) أن مثل ذلك التحول في القيم وقلب طبقات المجتمع رأسا على عقب لم يكن أبدا ليتحقق بقوة الإنسان (المقاومة المسلحة)، فبمعرفة هذا الدين و بالإيمان بالله القادر على كل شيء كان فكرهم أعمق بما لا يقاس من أي تهديد سياسي ثوري يشكله أي معارض على بنية القوة الرومانية، إلا أن الحقيقة الفعلية في أن قوتهم لم تكن تمردا تأسس على معارضة فردية أو عصيان جماعي مسلح يستخدم العنف، ذلك الذي يمكن سحقه بواسطة القوة القهرية للجيش الروماني التي تتعزز بسرعة من وراء البحر، قد جعل من هؤلاء المغاربة الممثلون للحياة الدينية الجديدة وخلقهم لنظام جديد يشكل تهديدا كبيرا. فكان هؤلاء المسيحيون الذين دعوا أنفسهم "أجانب" و"غرباء" داخل الدولة الرومانية ومجتمعها "مواطنين" ينتمون لنظام سياسي مختلف تماما.[2]

فالعبودية و القهر الاجتماعي الممثلان في عدم المساواة و الاستبداد و الاستغلال كان بالنسبة لهؤلاء المسيحيين الجدد إحدى وسائل التعبير عن مظالم النظام الروماني المدعوم من الجيش، مجرد مظهر جزئي للجريمة الشاملة التي كانت ترتكبها السلطة الرومانية بمساعدة الجيش ضد الحرية و المساواة، فبالاعتراض أعطى المؤمنون المسيحيون اعترافا كاملا بإخوانهم المطرودين من مناطقهم و المصادرة أراضيهم و العبيد و الكادحين.. كما كان رد فعل سلوكهم وتعصبهم الشديد وتفشي شهوة الاستشهاد بينهم ومعاداتهم علنا لوثنية الإمراطورية أكبر عامل لانتشار الكراهية ضدهم وكل هذا يفسر سبب حرب الدولة الرومانية ضد هؤلاء المتدينين الجدد بلا هوادة لاعتبارهم "مجرمين" و"يائسين" و"منبوذين" و"أعداء للجميع" و"حثالة الأمم وظاهرة مخيفة".

[1]-Monceaux P .Histoire littéraire de l'afrique chrétienne.T.I.culture et civilisation.paris.1963.p3

[2] -Monceaux P .op cit.p03.

إذ أصبح المسيحيون في نظر السلطات الرومانية الممثلة في الجيش مواطنين أشرارا وعناصر خطرة في المجتمع لأنهم كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية ولا يقدسون صورة الأباطرة*.

كانت قواعد اتهام المسيحيين وعقابهم لدى السلطات الرومانية يتوقف على مدى سلوك المسيحيين أنفسهم، وعلى مزاج وطبيعة حكام المقاطعات، فكانوا إما يجنحون إلى تنفيذ اللوائح و القوانين أو إلى التراخي و العدول عن تطبيقها، استجابة إلى مقاصد خفية للإمبراطور دون القوانين العامة وتطبيقها. ويبدو أن القرن الثاني للميلاد قد ظهرت فيه ملامح الانتشار المسيحي وسط ما عرف بسياسة الاستقرار و التسامح لعصر الأباطرة الصالحين (96م-192م)وهذا ما يفسر بأنه أحد عوامل انهيار الإمبراطورية[1].

وقد أضحى للمسيحيين من الخطورة ما جعل السلطة الرومانية على تحريم دينهم وبلغت المسيحية من القوة ما جعل لها وزنا و أهمية خاصة في القرن الثاني ميلادي، ولم يكن القرن الثالث يقترب من نهايته حتى صارت بلاد المغرب القديم إقليما مسيحيا وزاد عدد المسيحيين في المدن و الأرياف، وقد ذهب في ذلك تارتيليان بقوله " إن أعدادنا لتتزايد بالقدر الذي تستأصلونه منا لأننا ننبت من الأرض التي ترويها دماء المسيحيين "[2].ولما تولى الإمبراطور سبتيموس سيفيروس العرش، أصدر أمرا في سنة (202م) ضد تزايد عدد المسيحيين واتساع نشاطهم وإدراكه لخطورة الوضع بوضع حد لهذا النشاط، فحرم في هذا المرسوم على رعاياه الدخول في الدين اليهودي و أعطى أمرا بملاحقة معتنقيها و أتباعها، وبعد إصدار هذا الأمر زار سيبتيموس عدد من مقاطعات الإمبراطورية وتجول في أنحائها وما شاهده فيها من انتشار للديانة المسيحية وتمدن المسيحيين جعله يخاف منهم على السلطة الرومانية نفسها لذلك ازداد الاضطهاد قسوة وصرامة ولم يكن الاضطهاد مقصودا به العقائد الدينية ذاتها وإنما المقصود هو ما يمكن خلفها من

*-كان هناك إلى جانب "جوبيتر" أعظم الآلهة الرومانية و أفضلها آلهة آخرون ممن ينتمون إلى مجموعة الآلهة التي تعترف بها الدولة فكان الإله مارس أبا للشعب الروماني كما تروى الأساطير، وكان جبارا في الحروب، مقداما جسورا يتولى حماية الجيوش الرومانية في ميدان المعركة ويحضى بالعبادة الرسمية من الفيالق و القوات الرومانية جميعها. وقد وضع مجلس الشيوخ الأباطرة العظام الذين حققوا أعمالا عسكرية كبرى للإمبراطورية إلى القائمة الرسمية لمعبودات الدولة بعد وفاتهم تقديرا لإنجازاتهم، منهم أغسطس، كلوديوس فسباسيانوس، نيرفا، تراجان، هادريان، و الأسرة الأنطونية و برتيناكسو سيبتيموس سيفروس.. فكثيرون احتفظوا بقدسيتهم لمئات السنين كأغسطس المؤله (augustus divus) ففي عهد ديكيوس قام بتذكر مفاخر الماضي احتفالا بمرور ألف سنة على تأسيس روما، أن أمر بسط نقود تذكارية لإحياء ذكرى الأباطرة المؤلهين من أغسطس إلى الاسكندر سيفروس يمثل أحد عشر إمبراطورا، فليس كل الأباطرة عبدوا، فقط قائمة من الأباطرة المختارين لعبادتهم، هكذا بقي أمثال فسباسيان وتراجان وهادريان وماركوس أوريليوس وسبتيموس سيفروس ويتقدمهم أوكتافيوس قد احتفظوا بمكانتهم أبدا. أنظر : Picard G,CH ,op cit ,p 94

1- يقصد بذلك العصر عصر الاباطرة :نيرفا(96م-98) تراجان(98-117) هدريانوس(117138) انطونيوس(139-161) ماركوس اوريليوس ولوكس فيروس(161-180) كومودوس(180-192).

[2]-Tertullien. Apologétique.trad.par j.p.waltzig.2eme édit. Librairie bloud et gay.paris.1914.1

مبادئ سياسية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية.. وما يصاحبها من تهديد للأمن العام و الاستراتيجي للإمبراطورية وتقويض للمجتمعات.[1]

كانت الآلهة تعظم بالطقوس التقليدية التي يقيمها كثير من العباد الشاكرين، ومن ثم يحق لهؤلاء البشر أن ينالوا تلك النعم و الخيرات، لذلك من بين الحجج التي تذرع بها كركلا (188 م- 217) عندما قرر منح المواطنة الرومانية لسائر سكان الإمبراطورية، أن الآلهة الرومانية ستكون أكثر استعدادا ورغبة لأن تجزي الشعب الروماني الورع وتسبغ نعمتها عليه إذا ما كرمت من هذا العدد الكبير من المواطنين الجدد، إذ و ابتداء من سنة (220م) بدأت المسيحية في الانتشار الكبير خاصة في البروقنصلية و نوميديا، وهذا ما يبين أن عددهم بلا شك كثر في ذلك الوقت، وأن التنصير في بداية القرن الثالث كان قويا كفاية حتى سمح بالانتشار والتوغل في الداخل.[2]

وعن انتشارها فقد رأى بعض المؤرخين أن المسيحية انتشرت ليس فقط في إفريقيا البروقنصلية، بل أيضا في كل ساحل السرت.وفي الداخل لدى الكثير من القبائل التي تسكن حدود موريطانيا، وكذلك في مختلف فروع قبائل الجيتول[3].

وقد كان أعداد المسيحيين بالآلاف فمن الظاهر أن المسيحية قد استغلت فترة الاستقرار المؤقت وبدأت تزيد في عدد معتنقيها حتى بلغ مع حلول القرن الثالث ميلادي مدى تصاعد الأحداث إلى الصدام فبدأ الاضطهاد و المظالم ضد معتنقيها، وكان من طبيعة الأوضاع في الامبراطورية عندئذ ألا يزداد انتشار المسيحية دون أن تكب الاضطهادات على المسيحيين وبخاصة في فترة حكم ماكسيميوس التراقي(235م-238م) الذي صب جام غضبه على العقيدة الجديدة. وقد بدأت المسيحية تتنفس الصعداء مرة أخرى في عهد جورديان الثالث (238م-244م) عندما اتبعت تلك السياسة الحكيمة التي تمثلت في حرية العقيدة للجميع وقد بقي الوضع على ماهو عليه حتى حكم الإمبراطور فيليب العربي (244م-249م).[4]

[1]-Mesnage.p.j.lechristianisme.op cit.pp.90-92.

[2] -Monceaux P .op cit.p03.

[3]-ibid.pp5-7

[4]- عن هاته الاضطهادات راجع : القمص تادريس يعقوب ملطي ن قاموس اباء الكنيسة و قديسيها ، مطبعة الكرنك ، الإسكندرية ، مصر ،1985،ص،ص207،205.

وإزاء ذلك فقد ازدادت حدة الصراع و التوتر في جسم الإمبراطورية وبدأت ملامح الاضطهاد للمسيحية تعود إلى سابق عهدها وربما تحقق ذلك بصورة شبه كاملة على يد الإمبراطور فاليربان (253م-260م) الذي ضيق الخناق على المسيحيين بإصداره قرارات تعسفية اقتضت منع تجمعاتهم و إلزامهم بتقديم القرابين للآلهة الوثنية و إغلاق صوامعهم ثم إصدر في العالم الموالي قراره بمحاكمة رجال الذين حسب مواقعهم الكهنوتية في حال تمسكهم بديانتهم، وبتولي جالينوس (260م-268م) الحكم رد إلى المسيحية اعتبارها وسمح للمسيحيين بممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الدينية وبذلك بدأت مرحلة عودة واستقرار وسلامة للكنيسة وعرفت فترة جالينوس بفترة التسامح الديني مع أصحاب الديانات الأخرى.[1]

ومما لاشك فيه أن نظام دقلديانوس الجديد قد نجح بشكل نسبي في استرجاع الحدود القديمة وفي سحق العديد من مثيري الفوضى الداخلية، ومنهم الذين اتخذوا من الدين الجديد منطلقا لحراكهم لذلك عمل دقلديانوس في عام (303م) على إصدار مرسوم حتم على جميع المواطنين الرومانيين دون استثناء القيام بتقديم الضحايا الوثنية المعروفة، وتأدية فروض الديانة الوثنية في المناسبات المقررة على الوجه الأكمل، وتقضي بأن يطرد من يمتنع من الجنود عن ذلك من الخدمة. وصاحبت تلك القرارات أعنف الاضطهادات في عهده من مذابح بشرية أنزلها بالمسيحيين لاسيما منهم البسطاء و الفقراء و المعدمين، واستخدام كافة ألوان التعذيب من حرق وجلد وصلب وسلخ ورجم وتقطيع الأعضاء وتهشيم الأسنان وإلقاءهم إلى الوحوش الجائعة وجر ونفي ...وغيرها.[2]

وللحيلولة دون زوال سلطة الجيش بالمقاطعات الرومانية أن اعترف " قسنطين الأول " سنة (306م) بالمسيحية دينا للدولة الرومانية لذلك بدأت تشهد عديد المناطق ببلاد المغرب حركة عمرانية مميزة مثل سطيف وجميلة...تمثلت في أحياء مسيحية كحي الكنائس بسطيف، لكن هذا التطور العمراني الجديد وهذه الإجراءات المتخذة لم تفلح في إيقاف الفقر و التدهور الاقتصادي وبذلك استمرت الثورات. وفي حين أعطت الإمبراطورية درجة كبيرة من الاستقلال و الحكم الذاتي لمدن و أقاليم عديدة في حوض البحر المتوسط، أنكرت على بلاد المغرب القديم أي درجة من الاستقلال. ففي القرنين الثالث و الرابع للميلاد بدأت ثورات الأهالي تأخذ الطابع الديني مستخدمة الاستقلال عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وسيلة لتوكيد الخصوصية المحلية وبديلا عن الحكم الذاتي المدني. فعندما لم يستطع المغاربة تحقيق درجة من الاستقلال المدني و الحكم الذاتي في ظل الإمبراطورية مثلما تحقق للأقاليم الأخرى،

[1]- المرجع السابق ، ص،ص209،210.

[2]- سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري،ص،ص395-426.

حاولوا تحقيق ذلك على مستوى العقيدة و التنظيم الكنسي. وبذلك انتشر الفكر الدوناتيالذي سنتطرق إليه في الفصل اللاحق كمحاولة للاستقلال عن روما[1].

وهكذا أصبحت المسيحية كفكر وعقيدة تساهم –آنذاك– بشكل أو بآخر في تبلور الوعي القومي للمضطهدين و المحرومين، يعبرون بها عن معاناتهم الاجتماعية و الاقتصادية السياسية و الإدارية في ظل الوجود الروماني، تلك الطبقات المغاربية المقهورة من سياسات الإدارية الرومانية وجدت في تعاليم المسيحية محتوى فكريا، عبرت به عن موقفها من المؤسسة المدنية القائمة على القوة العسكرية و التمايز الطبقي، وهذا بمقاومتها بصمت سلمي، سلاحها قوة الروح وهدفها العدل وتحطيم المقومات المعنوية للمجتمع الوثني الأناني، كما وضحها لنا الباحث محمد البشير شنيتي[2]، ووجدوا فيها أيضا تعبيرا عن رفض كل أشكال العبودية و القهر الاجتماعي وعدم المساواة و الاستبداد، فكان بالنسبة لهؤلاء المسيحيين الجدد إحدى وسائل التعبير عن شرور النظام الروماني القائم، لتقابل السلطة الرومانية هذا الذين الجديد باضطهاد قاسي ودموي لوقف انتشاره، إذ لم يكن هذا الاضطهاد مقصودا بع العقائد الدينية ذاتها وإنما المقصود هو ما تحمل في طياتها من مبادئ سياسية و أخلاقية و اجتماعية واقتصادية، تقلب نظام الإمبراطورية وتهدد الوجود الروماني بكل وسائله ووحداته، حصونه، منشئاته، مستوطناته...) بالزوال.

المبحث الثاني: مقاومات سكان بلاد المغرب للإمبراطورية الرومانية

المطلب الأول : ثورة الدواورن الريفيون (347 م– 411م)

1–تعريف الدواورن (circoncellion):

من الناحية اللغوية فإن الكلمة من أصل لاتيني مركبة من جزئين:circum و cella ، يعني الجزء الأول (دائر) أما الجزء الثاني فيعني (مستودع المؤن) وبالتركيب بين الكلمتين نجد أن الدوران تعني أولئك الأشخاص الذين

[1]–كان لتمسك المغاربة بعقيدتهم ضرب من ضروب المقاومة الوطنية ضد التوسع و الاحتلال الروماني، فقد تمسك هؤلاء المسيحيون بمذهبهم المناهض لمذهب الأباطرة الرومان القائم على القوة العسكرية و التخويف، فكان من شأن ذلك أن أصبغ على الحركة المسيحية في المغرب القديم طابعا قوميا و أصبح رجال الكنيسة زعماء السكان المحليين في الحركة الروحية و الوطنية معا، فقد كانت الحركة الدوناتية بالمغرب القديم من بين أولى حركات الاعتراض على الكنيسة الكاثوليكية في تاريخ المسيحية، وسبقت الحركة البروتستانتية الأوروبية باثني عشر قرنا:

Martroye f. « une tentative de révolution sociale en Afriques. Donatistes et circoncellions ».dans revue des questions historiques 76.1904. pp 353-416.

[2]– محمد البشير شنيتي ،الجزائر في ضل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري، (الليمس الموريتاني)و مقاومة المور، ج(1–2)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999

يدورون حول مستودعات المؤن الواقعة في الأرياف بحثا عن قوتهم، أو بتعبير أوضح هم الذين يترصدون المزارع خصوصا المعزولة منها بغرض نهبها، وهناك رأي ثان يذهب إلى أن الدواورن كانوا رهبان يتجولون بين الأديرة وبالتالي فإن المقصود بالجزء الثاني cell يعني (بيت الراهب)، وهكذا فإن الاختلاف قائم حول تحديد مفهوم لحركة الدوارين ويرجع ذلك إلى تعدد الآراء حول نشاط الحركة.[1]

وإذا كان الخلاف قائم حول التعريف اللغوي للدوران فإنه الخلاف أكثر حول الرؤية في طبيعة نشاطهم فعادة ما نجد تفسيرات متناقضان في ذلك ما بين الرأي الأول الذي ينظر إليهم على أساس أنهم قطاع طرق ومتمردون ومابين الرأي الثاني الذي يذهب إلى أنهم ثوار اجتماعيون سعوا إلى مقاومة الوجود الروماني، ونبدأ في هذا الصدد برؤية رجال الدين المعاصرين لهذه الحركة ومنهم أوبطا الميلي الذي يرى أن الدواورن هم مجموعة من العصابات المتمردة تمارس عملية نهب مخازن الغلال الرومانية[2]، أما أوغسطين فسار على نفس نهج الكنيسة الكاثوليكية في وضع الدواورن ضمن دائرة الإجرام و الوحشية[3]نظرا للهجمات الكثيرة التي قاموا بها ضد رجال الدين الكاثوليك وخاصة بعد صدور قانون تجريم ومنع الدوناتية ،كما وصفت أعمالهم بأنها أعمال عصابات ارهابية مارست هذا الأسلوب لتحقيق مطامحها التخريبية ونشر العنف في المجتمع وهو ما يعتبر أيضا تمرد عن النظام الاجتماعي القائم وارتكاب الجرائم بدوافع انتقامية إنها وجهة تسعى لإطلاق الأحكام الجزافية دون البحث العميق في أفعال الدواورن[4].

أما وجهة الرأي الثانية فهي لا تتسرع في اطلاق أحكام التمرد و العصيان و الارهاب على الدواورن انطلاقا من أنهم يفضلون قراءة عميقة لطبيعة أفعالهم ومنشأها فهل كانت الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية مستقرة خلال القرن الرابع الميلادي حتى لا يدعو هؤلاء الدواورن إلى ممارسة تلك الأفعال؟ وفي الواقع حسب الدراسات الاقتصادية و الاجتماعية للإمبراطورية الرومانية فإنها كانت تعيش مرحلة سيئة ومزرية مع تحكم الطبقات الأرستقراطية في النشاط الاقتصادي، فانطلاقا من هذا الوضع يمكن الربط بصعوبة العيش عند طبقة كبيرة من السكان المحليين ولجوء الدواورن إلى أعمال النهب و السرقة للمتلكات. ويبدو أن هنا الدواورن كانوا أمام حالة ضغط شديدة على المستويين

[1]-محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق،ص85-86.

[2]-العود محمد الصالح ، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429م-534م، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة ، 2010،ص ص 18،19.

[3] -Augustin Saint , Résumé d'une conférence avec les Donatistes, Oeuvres complètes de Saint Augustin traduites pour la première fois en français, sous la direction de M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869.P580.

[4]-Paul Monceaux ;histoire litéraire de l'afriquechéritienne ;op cit ;p ;31.

الاقتصادي و الاجتماعي وصل الأمر ببعضهم إلى بيع أنفسهم كعبيد لأنهم لم يستطيعوا تسديد ديونهم، بل حتى هناك من باع أطفاله فالفقر المدقع وبؤس العيش يدفع إلى مثل هذه التصرفات[1].

والباحث يمكن أن ينطلق من الظروف السيئة لهؤلاء السكان ووجود التمييز الواضح بين الرومان و الفئات المترومنة وبين السكان الرافضين للرومنة، تمييز ظاهر في إعطاء الفئات الأولى أراضي خصبة وحصر الفئات الثانية في أراضي قاحلة مع جعل خط الليمس* فاصل بينهما ، تمييز في استغلال خيرات السكان الأصليين وتزويد روما وأوروبا بها مقابل انتشار الفقر في أواسط السكان الأصليين، تمييز في وجود فوارق اجتماعية من خلال طبقة كبار ملاك الأراضي وطبقة معدمة، ألا يكفي الوضع هذا لمعرفة دوافع الدواورن في تشكيل أفواج هاجمت كبار ملاك الأراضي ولو بطريقة عنيفة[2].

يمكن أن نخلص من خلال مناقشة مختلف آراء الذين كتبوا في الحركة الدوناتية إلى أن الدواورن حركة متذمرة من سوء الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية وعلى أساس ذلك لجأت إلى استخدام العنف لإسماع مطالبها للسلطة الرومانية، لكن مع دراسة عميقة يمكن أن يتبين لنا أن الدواورن حركة مقاومة للوجود الروماني في كل أشكاله ليس الاقتصادية و الاجتماعية فقط بل امتدت إلى الجوانب الدينية و الثقافية وهو اتجاه يفسره بعض الباحثين إلى وجود نوع من القومية وهذه القومية تمكن في محاولة فرض شخصية للأمازيغ تختلف عن الشخصية اللاتينيةوانطلاقا من اعتبار أن الحركة الدواورن ميولا دينية وثقافية شعارها مواجهة سياسة الرومنة فمن الطبيعي ربط نشاطهم بنشاط الحركة الدوناتية نظرا لتطابق وجهات نظرهما بالنسبة للاحتلال الروماني وحمل لواء كليهما من قبل السكان الأصليين إضافة إلى الموقع الجغرافي نفسه يربط كليهما فما هي إذن طبيعة العلاقة بينهما[3].

[1]-محمد الحبيب بشلري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني في القرن الرابع الميلادي، ثورة جيلدون397-398، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع 13،ص247.

*- خط الليمس: هو المنظومة الدفاعية العسكرية التي أنشأتها الإدارة الرومانية لتحصين المقاطعات القيصرية ومراقبة أهل الجهة الشمالية في نوميديا، والعمل على زيادة التوسع نحو التخوم الجنوبية من جهة أخرى، أنظر: محمد صغير غانم، تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د.ت، ص ص: 81-89

[2]-عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، النشأة والتطور 430 م-180م أطروحة دكتورة-جامعة قسنطينة،ص،ص،240،241.

[3]-نفس المرجع ،ص244.

2- الحركة الدوناتية وثورة الدواورن

يرى محمد المبكر أن الواقع الاقتصادي المرتبط لحركة الدواورن سابق عن الواقع الديني مما يعني أن حركة الدواورن في بداية الأمر نشأت كظاهرة اقتصادية واجتماعية ثم تحولت إلى الواقع الديني من خلال التحالف مع الحركة الدوناتية ومهاجمة الكنائس و الأساقفة الكاثوليك وهذا الواقع الاقتصادي سابق لظهور الديانة المسيحية بالنظر إلىالأوضاع المزرية لسكان بلاد المغرب القديم، كما وجد الدواورن في الحركة الدوناتية جانب دعم من الناحية الروحية وهذا لتقوية موقفهم في مواجهة الإمبراطورية الرومانية ومن تحالف معها[1].

ويبدو أن هذا الدعم الروحي الذي تلقاه الدواورن من الكنيسة الدوناتية هو الذي جعل البعض يعتبر حركة الدواورن كجناح عسكري للحركة الدوناتية، مما يعني أن هناك ارتباط مباشر بين الحركتين وعلى هذا الأساس يفهم أن الدواورن كانوا يتلقوا تعليماتهم من الأساقفة الدوناتيين. وهم الذين أسسوا سلطة دينية هرمية على أساس المذهب الدوناتي في الأرياف هاجمت رجال الكنيسة الكاثوليك الذين كرسوا الظلم الاجتماعي وكذلك الدوناتيون الذين تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي ومن هنا حسب رأي هؤلاء يفهم ببساطة قوة العلاقة بين الدوناتيون و الدواورن خصوصا إذا فهمنا الصراع بين الكنيسة الدوناتية و الكنيسة الكاثوليكية[2].

ويربط البعض بتزايد هذا التحالف بين الدوناتيين و الدواورن بعد صدور قانون منع وتجريم الدوناتية سنة 405م و الملاحقات المستمرة للمذهب الدوناتي مما اضطر هذا الأخير إلى استخدام العنف بتحريض جناحه العسكري، وحسب ما يفهم من أقوال أوغسطين أن هذا التحريض كان بدافع انتقامي لأن هجمات الدواورن ضد رجال الذين الكاثوليك كانت نتيجة لفشل الحركة الدوناتية ومنعها من الناحية القانونية فلجأت إلى التعبير عن رفضها لتلك القوانين بطريقة غير شرعية، ويتطابق هذا الكلام الأخير مع المصادر التاريخية إذا أوبطا الميلي لايتكلم عن هجوم الدواورن على الكنائس و الأساقفة الكاثوليكية بل يتكلم عنهم في إطار عام بمهاجمتهم لكبار الملاك و الأسياد الدائنين بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية، على العكس من أوغسطين الذي يتحدث مباشرة عن انتماء الدواورن للمذهب الدوناتي ومهاجمتهم للكاثوليك على أساس ديني وكأن الصراع تحول من صراع اقتصادي إلى صراع مذهبي

[1]-محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق،ص117.

[2]-Marcel Neusch, La création comme habitat de l'homme, Saint Augustin et la société de temps itinéraires augustiniens,p,26.

وهذا يشير إلى أن الدوارون في عهد أوغسطين كانوا يبحثون عن أساقفة الحركة الدوناتية لعقد تحالفات معهم بناء على الخطر المشترك الذي يلاحق كلا الطرفين[1].

كما أن استخدام الدوارون للدين المسيحي كان واضحا سواء من حيث اطلاق على أنفسهم مصطلح " جنود المسيح" أو من خلال تسمية قادتهم من أمثال أكسيدو (axido) وفازير (fasir) ب "قادة القدسين[2]أو مباشرة هجماتهم بعبارة لله الحمد (dioluades) وكذلك تسمية كنيستهم ب "كنيسة الشهداء"[3]، وأن انضمام الدوارون للكنيسة الدوناتية يرجع لإعتقادهم أنها كنيسة الفقراء و المظلومين في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية المتحالفة و المساندة لها فإتباع الدوارون و الدوناتيون أغلبهم ينحدرون من مناطق ريفية محرومة ففي وجهة نظر البعض أن هذا يعتبر نوع من المعارضة الذي يشمل حالة اقتصادية واجتماعية ودينية أيضا، فكبار الملاك كانوا كاثوليكيين وكانت تحركهم مصالحهم الشخصية في التحالف مع الإمبراطورية الرومانية، وكان من الشائع أن كبار الملاك يطالبون بتدخل الجيش الروماني لقمع المعارضين سواء الدوارون أو الدوناتيون، وهو نفس الرأي تقريبا يذهب إليه محمد البشير شنيتي بعنوان "التحالف الطبقي" فالمصالح المشتركة للأطراف المتنازعة كانت واضحة في الصراع بينهما وهو تحالف فيما يبدو عفويا ومن هنا يتبادر إلى الأدهان أن الصراع هو بين طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء وهذا بشكل عام لأن هناك أغنياء هم من أتباع الحركة الدوناتية.[4]

3- انتشار حركة الدوارون في افريقيا:

انطلاقا من العلاقة التي نشأت بين الحركة الدوناتية وحركة الدوارون فإن هذه الأخيرة كانت تنتشر بشكل كبير في نفس المناطق التي انتشرت فيها الحركة الدوناتية نظرا للدعم الكبير لأساقفتها لصالح حركة الدوارون، بل أن بعضهم دعاهم لمواجهة القوات الرومانية في افريقيا، مثلما حدث في بغاي سنة 347م حينما تحالف الدوناتيين و الدوارون في معركة كبيرة ضد البعثة الرومانية التي جاءت لحث الدوناتيين على استعادة الوحدة الدينية[5].

---

[1]-محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية ، المرجع السابق،ص،122.

[2]-عيواج زهية، الحركةالدوناتيةفيالمغربالقديمودورهافيمقاومةالاحتلالالروماني،أعمالملتقىوطني،المتحفالوطنيالعمومي،سطيف، 11 و12 ديسمبر2012،ص96.

[3]-محمد البشير شنيتي، نوميديا و روما الامبراطورية كنوز الحكمة، الجزائر،ط1،2007 ،ص373.

[4]- المرجع السابق ،ص،372.

[5]-Paul Monceux, histoire litéraire de l'afrique chéritienne,op cit,p81.

ونظرا للأحداث الكثيرة التي عرفتها مدينة بغاي منذ نشأة الحركة الدوناتية وظهور حركة الدواورن خصوصا أنها تحولت معقل لهم من حيث تنظيم العديد من المؤتمرات أو الأحداث المتعلقة بمواجهة القوات الرومانية و الكنيسة الكاثوليكية المتحالف معا يجعل منها مركزا هاما لحركة الدواورن، وغير بعيد عن مدينة بغاي وعلى سفوح الأوراس تظهر مدينة تيمقاد كمركز آخر لحركة الدواورن، وهي المدينة التي دعمت ثورة جيلدون بشكل كبير بسبب تواجد الدواورن الذين تحالفوا مع الحركة الدوناتية وحملوا السلاح إلى جانب جيلدون[1].

وبكون باغاي وتيمقاد مركز للدوارين في شمال افريقيا فيرجع ذلك إلى ارتباطهم بالحركة الدوناتية وهذا يجعل من مناطق اخرى تركزوا فيها بشكل كبير من بينها تيفاستوفيغسلا(vegesela) *وتيغيسي(tigisi)** ونقرين وتاغاستوهيبون وقالمة،[2]لامباز وخنشلة وعين البيضاء وهي مناطق معروفة بجني محصول الزيتون وهو ما يفسر أن استعمال الدواورن لهراوات ذكرتها المصادر القديمة خلال القيام بهجومات لم تكن سوى هراواتهم التي استخدموها خلال عمليات جني الزيتون زحتى عمليات الدوران التي قاموا بها كانت حول مخازن الزيت،[3]على أن الدوارين بعد أن تعاظمت قوتهم تطور استخدامهم لأسلحة أخرى مثل المقاليع و الأسلحة الحديدية و السيوف و الشواقير والحراب وتشكلت لديهم فرق مسلحة أشبه بالفيالق[4].

ولأن انتشار حركة الدواورن بهذه المناطق جعل البعض يصف امتدادهم الجغرافي في المناطق الداخلية بإفريقيا بما يوافق حاليا جبال الأطلس ويربطهم الباحث محمد المبكر بالريف النوميدي وخصوصا أن الدواورن كان أغلبهم يعملون في ضيعات الإمبراطور أو الخواص وهم من الفئات القليلة التأثر بالرومنة كما أنهم غير مستقرين على أساس أنهم يبحثون عن قوتهم من ضيعة إلى أخرى وهي المعايير التي ترتبط بالإنسان الريفي، وهذا الكلام لايتوافق مع وصف أوغسطين لمناطق الدواورن وهو الكتاب المعاصر لهم حيث وصفهم بأنهم عملوا على تأجيج إفريقيا بكاملها إلا إذا كان أوغسطين قد بالغ في وصفه، من منطلق تفكيره ضد الحركة الدوناتية التي حملها العنف الذي يقع في افريقيا[5] ، كما كان كثير الشكاوي ضد الدواورن للسلطات الرومانية فقد اشتكى للبروقنصل من هجوماتهم في مدينة هيبون

[1]-عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...،المرجع السابق،254.

*-فغسلا موقع نوميدي بضواحي مدينة أم البواقي حاليا يبدو من خلال الاكتشافات الأثرية بأنه من معاقل الحركة الدوناتية بنوميديا

**-تيغيسي(taourga) تاورغة موقع نوميدي جنوب دلس بما يعرف منطقة القبائل الغربية

[2]-Paul Monceaux,histoirelitéraire de l'afrique chéritienne,op cit,p,125.

[3]-محمد المبكر، حركة الدواورن وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق،ص103.

[4]- المرجع السابق،ص،139.

[5]-محمد المبكر،حركة الدواورن وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق،ص101،102.

ومنها أنهم هاجموا كاهنين كاثوليكيين نصب لإحداهما كمين والآخر اختطف من منزله ونزعت عينه وقطعت أصبعه بحجر حاد، وحسب كلام أوغسطين فإن حركة الدواورن لم تشمل الأرياف فقط بل حتى المدن لم تكن آمنة بسبب العنف الذي ارتكبوه، كما يظهر من خلال مساندة أساقفة قرطاج الدوناتيين لحركة الدواورن امتداد حركتهم هناك رغم أن صيتها لم يكن بالشكل الموجود في المقاطعات الأخرى[1].**(انظر الملحق رقم 03) ص (100)**

المطلب الثاني: ثورة فيرموس (372 م – 375م)

1- تعريف فيرموس:

هو أمير موري ينتمي إلى عائلة من النبلاء كانت تتمتع بنفوذ قوي بين موريتانيا القيصرية وأوزية وصلداي وحسب ما تذكر المصادر أن له إخوة كثر: ساماك (samac) ومازوكان(mazucan) وجيلدون(gildon) وماكيزيزل(masecezel) وديوس (dius)[2] ، ويجب أن نشير هنا إلى ضعف الإمبراطورية الرومانية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين أفرز ممالك محلية قوية متحالفة مع الرومان وحاملة لواء الثورة و الاستقلال أحيانا أخرى وهذا في إشارة للإمارة التي أسستها عائلة فيرموس هي احدة تلك الممالك[3].

يرى بعض المؤرخين وجود إخوة كثر لفيرموس أدى إلى صراع بينهم حول الحكم بعد وفاة أبوهم نيبال (nibel) وعقد تحالفات ضد بعضهم البعض، فوقفت القبائل المورية في صف فيرموس رافعين لواء التحرر من السلطة الرومانية وتأسيس مملكة مستقلة بزعامته.[4]

ويبدو أن الانتقام أو الدافع الشخصي لفيرموس لم يكن الوحيد لإعلان ثورته إنما يضاف إليه أيضا المشاعر الدينية المحلية و المطالبة بالاستقلال عن الإمبراطورية الرومانية وهي كلها أسباب قوية جعلت القبائل المورية تلتف حوله في إطار صراع قوي مع الامبراطورية الرومانية، هذا الصراع امتد من تيبازة إلى شرشال إلى الشلف وايكوزيوم (مدينة

[1]– المرجع السابق،ص 286

[2] - Hélène Ménard, Discours de la violence, violence du discours : réalités et stéréotypes dans la Passion de sainte Salsa de Tipasa,2013, https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00807045,p,09.

[3]–عبد القادر شريف، الممالكا لبربرية وسياسة التحالف في مقاومة المستعمر الوندالي و البيزنطي (إقليم الأوراس أنموذجا)، أشغال الملتقى الوطني الرابع: الأوراس عبر التاريخ، منشورات المتحف الوطني العمومي ، خنشلة 2016،ص،ص،99،98.

[4]–عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق،ص،266.

الجزائر الحالية) وشملت حتى منطقة القبائل و الأوراس وأجزاء من نوميديا مما يبين تنوع القبائل و المناطق التي انظمت إليه واستمرت ثورته لثلاث سنوات من 372م حتى القضاء عليها من قبل الجيش الروماني سنة 375[1].

2- الحركة الدوناتية وثورة فيرموس:

أشرنا سابقا إلى أن المشاعر الدينية لفيرموس كانت من بين الأسباب التي أدت إلى ثورته وتتمثل هذه المشاعر في مناصرته للمذهب الدوناتي وانطلاقا من ذلك طلب من الدوناتيون مناصرته وتمكن من تحقيق تحالف بين الكثير من القبائل البربرية متجاوزين بذلك الحساسيات القبلية، ومن هنا يبدو أن الحركة الدوناتية هي التي ساعدت فيرموس في إعطائه شرعية عند كل القبائل الأمازيغية التي انضمت إليه وهذا المنطلق يدل على أن القوة الحركة الدوناتية كانت من قوة التحالفات القبيلية و الحكام المحليين المستقلين فهي السلطة الروحية الوحيدة التي كانت بإمكانها إعطاء شرعية للحكام أو الأمراء المحليين وذلك بدعوة مناصريها للانضمام لهم دون الأخذ بعين الاعتبار الصراعات القبلية[2].

ومما يفسر تحالف الدوناتيين مع فيرموسو أعطاءه شرعية القيادة أن الكثير ممن انضموا إليه وتعاطفوا معه كانوا لا يؤيدون المذهب الكاثوليكي ونظروا إلى هذا الأخير وكأنه دين روماني وليس دين السكان المحليين وهذه النظرة المشتركة أشرنا إليها في السابق واعتبرناها احدى نقاط الخلاف الأساسية بين الكنيسة الدوناتية و الكنيسة الافريقية، كما أن تيبازا التي انطلق منها فيرموس كان نفوذ الحركة الدوناتية بها قويا ومؤثرا وهذا كمثال فقط لأن نفوذ الحركة الدوناتية في عصرها الذهبي كان شاملا لبلاد المغرب القديم[3].

ويرى مونصو أن التحالف بين فيرموس و الدوناتية أمر له دلالة مصلحية على الطرفين فالكل رأى أن بإمكانه تحقيق هدفه، فبالنسبة لفيرموس كان يهدف إلى تحقيق طموحه المتمثل في خلق مملكة محلية مستقلة ويكون معها ملكا عليها، وهذه الطموحات التي يهدف فيرموس إلى تحقيقها تشبه تلك الحركات المورية القديمة الطامحة للمحافظة على الاستقلال السياسي وعدم الخضوع للرومان، حتى وإن كان البعض منها خضع للرومان بطريقة غير مباشرة وتمكن من الحفاظ على مملكته، فليس من المستبعد أن فيرموس أراد استعادة أملاك أسلافه من الموريين[4].

---

[1]-المرجع السابق ص،ص،268،269.

[2]-عثمان سعدي، الأب دونا،رجل الدين المسيحي المغاربي المناضل، حولية المجمع، المجمعاللغةالعربية،طرابلس،العدد6، 2008، العدد،ص،224.

[2]-نفس المرجع،ص225.

أما الطرف الثاني في هذا التحالف وهو الحركة الدوناتية فيرى مونصو أن طموحاته تتمثل في محاولة توحيد الكنيسة الدوناتية في مواجهة الامبراطورية الرومانية التي منعت وجودها وأصدرت مجموعة قوانين قاسية ضدها، فلجأت إلى التحالف مع الثورات واستغلالها لصالحها ويبدو أنها استخدمتها كجناح عسكري، وينبغي الإشارة هنا إلى أن تدمير جنود فيرموس للكنائس الكاثوليكية في إطار حركتهم كان بتلقى أوامر من الكنيسة الدوناتية[1]، كما نير أيضا إلى أن الامبراطور غراتيان (gratien)أصدر أمر سنة 376م بتجديد منع المذهب الدوناتي أي بعد نهاية ثورة فيرموس مباشرة، هذا يدل على مشاركة الحركة الدوناتية بصفة قوية في ثورة فيرموس، فتجديد المراسيم التي تحدد منع الحركة الدوناتية من وقت لآخر رغم وجود مراسيم سابقة يدل على القلاقل و الشعبية التي استغلتها الحركة الدوناتية لدعم الثورات ضد الوجود الروماني في أنحاء المغرب القديم[2]. (**انظر الملحق رقم 04**)،**ص(101)**.

المطلب الثالث: ثورة جيلدون:(397 م- 398م)

1- تعريف جيلدون:

هو أحد إخوة فيرموس الذين تركتهم عائلة نوبيل المورية في السابق إلى عمق الخلافات بين ؤلاء الإخوة حول الملك الكبير و النفوذ الذي كانت تحظى بهم عائلته، ومن مظاهر عمق هذه الخلافات أن جيلدون تحالف مع الرومان في بداية الأمر ضد أخيه فيرموس ودخل في نسب مع العائلة الملكية في روما عن طريق ما يعبر عنه " بالزواج السياسي" فقد تزوجت ابنة جيلدون "سلفينا"(silvina) في القسطنطينية من أحد أقارب الإمبراطور تيدور ليكون هذا الزواج سببا في تورط جيلدون بعمالته للرومان ولساهم في هزيمة أخيه فيرموس فالرومان و البيزنطيين معروفين باستغلال المصاهرات العائلية في القضايا الساسية و العسكرية[3].

وهنا برأي البعض لايمكن التركيز على هذه العمالة التي تورط فيها جيلدون بقدر ماهي حيلة سياسية لجأ إيها بعد أن أدرك أن أخوه فيرموس لا يستطيع الصمود أمام الجيوش الرومانية فقرر التضحية به في سبيل ابقاء إرث العائلة الملكي لذلك تظاهر في بداية الأمر باستعادة للتعاون مع السلطة الرومانية، هذه الأخيرة عينته كونط لإفريقيا سنة 386م[4]، وإلا من غير ذلك فقد كان جيلدون ثوريا منذ البداية فقد استخدم سلاح القمح في كل مرة ضد

[1]- Paul Monceaux, histoire littéraire de l'Afrique chéritienne ,op cit,p,190

[2]-عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق،ص225.

[3]-عبد الحميد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق،ص،157.

[4]-عثمان سعيدي، الأب دونا...، المرجع السابق،ص225.

الإمبراطورية الرومانية برفض مدها به أو بتقليص امدادته لهذه المادة الحيوية في الإمبراطورية الرومانية وتردده المستمر في مواقفه يبدو أنه أسلوب سياسي مرحلي كان يكشف به تطورات الإمبراطورية الرومانية الداخلية[1].

ويبدو أن التخطيط المرحلي للثورة في نظر جيلدون كان له أثر ايجابي على سكان المغرب القديم من الناحية المعيشية فانخفضت أسعار القمح بعد أن توفرت في بلاد المغرب القديم نتيجة لتقليص تحويلها إلى أوروبا، في المقابل أحست الامبراطورية الرومانية بالضرر مما أدى بها إلى التحرك من أجل مصالحها فهي لا تتخلى عن القمح الافريقي في وقت اشتدت فيه الأزمات الاقتصادية[2].

ويبدو من خلال الأحداث السابقة أن جيلدون استخدم أسلوب المناورة في وجه الرومان لمدة عشرين سنة (376م-396م) ليعلن ثورته في الأخير و الهادفة إلى تلخيص سكان بلاد المغرب القديم من الهيمنة الرومانية مستغلا الظروف السياسية و العسكرية و الاقتصادية التي كانت تمر بها الامبراطورية الرومانية خلال هذه المدة على رأسها خطر الجرمان وضعف أباطرتها وتلص سلطاتهم المركزية.[3]

2- الحركة الدوناتية وثورة جيلدون:

لا تخلو ثورة جيلدون من الموالاة للكنيسة الدوناتية فبصمة هذه الكنيسة واضحة، رغم كون جيلدون لم يكن مسيحيا أصلا فقد كان وثنيا ولم تصلنا معلومات من خلال المصادر عن اعتناقه الديانة المسيحية، وهذا قد يدخل في إطار الأساليب السياسية التي تفطن إليها جيلدون فهو بحاجة إلى المناصرين الدوناتيين الذي يملكون قوة كبيرة وباستطاعتهم الموت في سبيل الكنيسة الدوناتية و الدوناتيون بحاجة إلى جيلدون من أجل حمايتهم بصفته أمير ووريث لعائلة مورية قوية، وهنا كانت مصالح الطرفين مشتركة[4].

[1]-محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق،ص،ص،249،250.

[2]-محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق،ص،251.

[3]-عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق،ص225.

[4]-محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق،ص،252.

وفي سبيل تحقيق هذه المصلحة المشتركة بين الدوناتيين ومناصري جيلدون وقف كبار الأساقفة الدوناتيون إلى جانب جيلدون من بينهم أسقف تيمقاد أبطاطوس التيموقادي (optatus thamugadi) الذي دعى أنصاره إلى دعم جيلدون بما فيهم الدوارون[1]،وهذا التأييد من تيمقاد يعتبر دفعة قوية لثورة جيلدون.

ويبدو أن انضمام الدوناتيين في أكبر معاقلهم بالأوراس إلى صفوف جيلدون بأوامر من أساقفتهم هو الذي مكن جيلدون من توفير حوالي سبعين ألف رجل في مدينة تيفاست وضواحيها وهو عدد كبير قد يفوق ما جمعه الجيش الروماني لمواجهة جيلدون.

كما أن أكبر المعارك التي قادها الثوار التابعين لجيلدون ضد الاحتلال الروماني قامت في ضواحي مدينة تيفاست (تبسة حاليا) وهي معركة أردواليو (ardalio) سنة 398م وهذا يرجع كله إلى نشاط الدوناتية وحركة الدوارون القوي بهذه المناطق. وبالرغم من أن ثورة جيلدون لا تضم الدوناتيين فقط بل جمع أيضا الوثنيون وكل من رفع راية رفض الوجود الروماني في مسعى منهم إلى البحث عن الاستقلال بالدرجة الأولى،إلا أنه لا يمكن نفي أن احتضان الدوناتيون لهذه الثورة كان له الأثر الكبير في شموليتها فالعمق الريفي الذي يمثل معقل الحركة الدوناتية هو العمق ذاته الذي ساهم بقوة ثورة جيلدون.

وبعد وفاة جيلدون عادت الاضطهادات مجددا ضد الدوناتيين ومن أبرز الذين دفعوا ثمن هذه الاضطهادات أسقف تيمقاد الدوناتي أو بطاطوس المعروف بمساندته لجيلدون، فسجن حتى الموت نتيجة لمساهمته الكبيرة في الثورة ويبدو أن السلطة الرومانية أنهكتها مساندة الحركة الدوناتية لمختلف الثورات في كافة أنحاء المغرب[2].

(انظر الملحق رقم 05) ص(102).

[1]-أبطاطوس التيموقادي: هو أسقف مدينة تيمقاد من 388م حتى 398م، وواحد من أكثر الشخصيات حضورا في الكنيسة الدوناتية بشمال إفريقيا وكان القديس أوغسطين يتكلم عنه كثيرا، وقد تحالف أوبطاطوس مع ثوار جيلدون ودعى أنصاره إليهم وبعد هزيمة جيلدون أدخل أوبطاطوس السجن حتى وفاته .

[2]-Modéran Yves , Gildon, les Maures et l'Afrique, Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité T. 101, N°2. 1989.

الفصل الثالث

نتائج زوال الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم

المبحث الأول انعكاسات نهاية الوجود الروماني على بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: في المجال الاقتصادي

المطلب الثاني: في المجال الاجتماعي

المطلب الثالث: في المجال الديني

المبحث الثاني: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم سنة(429)

المطلب الأول: أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

المطلب الثاني: سياسة الوندال في بسط سيادتهم على البلاد

المطلب الثالث: المقاومة المغاربية وانبعاث الإمارات المستقلة

يعتبر زوال الامبراطورية الرومانية موضوعنا الاساسي في هذا البحث، إلا أنه لا يمكننا الخوض في تاريخ نهاية وجودها دون التط راجع ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مطبعة الخانجي، مصر، ب ت، ص271.رق للغزو الوندالي في بلاد المغرب القديم وما تبعه من تحولات للمرحلة الأخيرة التي شهدت أفول نجم الامبراطورية الرومانية، حيث عرف الوضع في المنطقة قبيل الغزو الوندالي أوضاعا مضطربة يغلب عليها التوتر السياسي الذي ميز الامبراطورية الرومانية.

ومنذ تلك الفترة و المؤرخين لا يكفون عن البحث و التقصي عن الانعكاسات المترتبة عن سقوطها ،فاختلفت الآراء حسب المناخ الفكري و السياسي الذي سيطر على العصر الذي عاش فيه كل مؤرخ، ومن ثم يمكن القول أنه توجد تفسيرات مختلفة ومتباينة متنافرة، عالجت هذا الموضوع، من زوايا متعددة سياسية، اقتصادية، دينية و اجتماعية.

المبحث الأول : انعكاسات نهاية الوجود الروماني على بلاد المغرب القديم

المطلب الأول: في المجال الاقتصادي

اعتمادا على المصادر الكتابة و المادية، فإن الأزمة الاقتصادية في شمال إفريقيا كانت قد تفاقمت وذلك ابتداء من أواخر القرن الثاني الميلادي[1]، ويعود ذلك إلى النظام الإقطاعي وما كان يترتب عليه من أساليب عديدة وفي مجالات كثيرة أثرت تأثيرا سلبيا على كل القطاعات الاقتصادية الأخرى.[2]

1- الجانب الزراعي:

إذا كان جل المؤرخين قد اتفقوا على الدور الاقتصادي الهام الذي لعبته بلاد المغرب حينذاك في إنقاذ الإمبراطورية الرومانية من المأزق الاقتصادي، فإنه مما لاشك فيه أيضا هو أن الحاجات الغذائية الرومانية كانت وراء تكثيف النشاط الزراعي الذي كان بدوره وراء تنشيط التجارة و الصناعة[3].و لهذا تم تكريس الاحتلال عن طريق تغيير البنية الحضارية للمجتمع المغربي القديم، لهذا اعتبرت الأرض من أولى الضروريات المستهدفة من قبل الإدارة الرومانية.[4]

[1]-شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة،ج1، تونس، 1985،ص.ص.270-271.

[2]-سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق،ص.530.

[3]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي،ب ت،ص.204.

[4]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص.269.

لقد كان تدمير مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م من بين الفرص التي أدت إلى التهافت على الأرض الزراعية الافريقية بحيث كان الهدف من ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الرغبة في استثمار الرومانيين للمزارع الكبرى[1]،بحيث كان الجنود يمارسون مهمة الإشراف على استغلال الأرض وجمع محاصيلها وتنظيم عمليات شحنها وتصديرها نحو الإمبراطورية الرومانية لتسويقها هناك، وهذا ما أدى إلى التسابق على حيازة أكبر قدر من المساحات الزراعية في إفريقيا، وهو ما أدى بدوره بالقبائل المحلية للمقاومة و الوقوف في وجه هذا المد الروماني.[2]

لقد كان مساحو الأرض (agrimensores)* ينتزعون الأرض من الأهالي وبحد السيف بالاستعانة بجيش الإمبراطورية الرومانية ثم يقومون بتجزئتها إلى قطع متساوية كي يسهل عليهم توزيعها على المزارعين أو تأجيرها، وهكذا فتحت الأراضي الإفريقية أمام الاستثمارات الرومانية بدون تحفظ وحرم منها الفرد المحلي الذي كان يعتبرها المصدر الأول و الأساسي في حياته[3].

لم يقتصر أسلوب الدولة الرومانية في شمال إفريقيا على نزع الأراضي عنوة فقط، بل قامت بترحيل القبائل التي تملك الأراضي الخصبة وطردها نحو الأقاليم السهبية الفقيرة، إذا كان هذا هو حال القبائل المزارعة، فإن حال القبائل الممتهنة للرعي كان أسوء، حيث كانت طبيعة نمط معيشتها تحتم عليها التحرك بين الأقاليم السهبية و الزراعية، طلبا للكلأ و الماء. وهذا ما يضايق المؤسسات الاستعمارية الرومانية، لذلك عملت الدولة على الحد من حرية تنقلها من جهة، ودحرها نحو الجنوب بالقوة من جهة ثانية، وهذا ما حول البعض من أفراد تلك القبائل إلى يد عاملة[4].

وفي وقت ارتفعت فيه احتياجات الحرب في الجبهات الجرمانية و الشرقية، بقيت إفريقيا الممون الرئيسي للإمبراطورية، وظهر ذلك من خلال أثار وبقايا الجرار و الأمفورات المتنوعة لنقل الحبوب و الزيوت ومنتجات أخرى، و التي حملت علامات ورشات إفريقية، وهذه الجرار و الأمفورات كانت تنقل حبوب إقليم المزاق و جنوب نوميديا

[1]-نفسه،ص.51.

[2]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص.52.

* - مساحو الأرض (agrimensores) : هم موظفون رومان كلفوا من طرف الدولة لإحصاء الاراضي الزراعية وتقسيمها الى حصص متناسبة المساحة وذلك حتى يتم توزيعها على المنتفعين الرومان او تأجيرها، و من ثم يتسنى للدولة مراقبتها و تحديد نصيبها من المحصول. انظر : محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص.55.

[3]- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص.52.

4- نفس المرجع ،ص،5 .

وزيوت طرابلس وخمور و أسماك موريطانيا القيصرية إلى الموانئ الغربية مثل أوستي وبعض موانئ سردينيا، بالإضافة إلى وجهات أخرى مثل جنوب بريطانيا وبعض موانئ الشرق كالإسكندرية(**أنظر الملحق رقم06)ص(103)**، كما وجدت جرار زيت إفريقي بجزيرة كريت و التي أرخت بالقرن الثالث، يضاف إليها بقايا حطام السفن التي عثر عليها في بعض السواحل الشمالية للمتوسط، خصوصا السواحل الشرقية لجنوب فرنسا، حيث امدتنا بمعلومات قيمة عن طبيعة المنتوجات الإفريقية التي كانت تصل إلى أوروبا خلال فترة الأزمة وما بعدها، و التي اتخذت عدة أشكال، حيث صبت كلها إلى تأكيد واقع نشاط المقاطعات الإفريقية اقتصاديا خلال هاته فترة[1].

دفعت المؤشرات الأثرية وبعض المراسيم القانونية ذات الخلفيات الاقتصادية بالكثير من المهتمين و المختصين المحدثين للقول و التأكيد على فكرة أنه خلال فترة الأزمة أصيبت أغلب المقاطعات بالشلل الاقتصادي و خصوصا النشاط الزراعي، باستثناء نشاط إغريقي محتشم، إذ عثر على جرار وأمفورات إغريقية بمواقع مختلفة ببلاد غالة، ولقد بقي الوضع كذلك إلى غاية النصف الثاني من القرن الرابع لتعود هذه المقاطعات الشرقية و الغربية للنشاط من جديد، وخلال هذه الفترة من الركود و الشح، بقيت المقاطعات الإفريقية الممول الرئيسي لإيطاليا[2]،و في هذا السياق يقول فيليب لوفو أن وفرة المقاطعات الإفريقية على الشواهد الأثرية ذات الطابع الاقتصادي التي تعود إلى القرن الثالث، دليل على ثراء المقاطعات الافريقية، في حين خلص في إحدى دراساته لمئتان وواحد و أربعين (241) موقع أثري ضمن ضيعات بضواحي القيصرية، يعود تأسيسها للقرن الأول للميلاد لكنها عرفت أوج تطورها خلال القرن الثالث حتى نهاية القرن الرابع[3]، نفس الفكرة طرحها كوتولا kotula بالقول " رغم الأزمة التي عصفت بالإمبراطورية خلال القرن الثالث، فباستثناء موريطانيا القيصرية لدواعي أمنية، فإن المقاطعات الإفريقية بقيت مزدهرة حيث كانت تغذي نفسها وتحصل فائض إنتاجي خلال بداية القرن الرابع" وهو الواقع الذي ظهر جليا في تنظيم قانون الضريبة العينية، حيث لم تقتصر وجهتها إلى روما فقط بل خصت الكثير من المناطق في شقي الحوض المتوسط[4].

[1]-Bonifay Michel , Etude sur la céramique Romaine Tardive d'Afrique,éd.Bar international séries England , 2004 ..p-480

[2] -Ibid p-446.

[3] - Leveau (P.), une ville et ses compagnes, l'exemple de caesarea de Mauritanie, actes du colloque `` villes et compagnes dans l'empire romain `` organisé à Aix – en – Provence les 16 – 17 mai 1980 –1982 éd. YER. , p- 85.

[4]- Bonifay(M),op.cit.p-480

بينت الإشارات الأثرية الاهتمام الكبير من طرف الأفارقة بهذا النشاط الزراعي، حيث الانتشار الكبير والواسع للمطمورات و المخازن في أغلب مدن المقاطعات الإفريقية وخصوصا نوميدياوموريطانيا القيصرية في شقها الشرقي، وأقل درجة في البروقنصلية، الظاهرة التي خلص المؤرخون لتفسيرها بتوجه مقاطعة البروقنصلية نحو الشجرية وخصوصا في أقاليم المزاق و المنطقة الممتدة في سبيطلة إلى تبسة، فقد رجح بونيفاي طغيان نشاط الصناعة البحرية وأن منتوج القمح الذي كان ينتج في البروقنصلية خلال القرن الثالث لم يكن موجه للتصدير، في حين ذهب للقول أن ذلك راجع إلى هجرة هذه الأراضي بسبب الأتعاب الجبائية التي أرهقت الفلاحين و المستثمرين، المشكلة التي عالجها الإمبراطور هونوريوس لاحقا عندما أقر تسهيلات وتحفيزات مع قانون 422م[1]، وبالعودة إلى القضية الانتشار الكبير و الواسع للمخازن في المقاطعات الإفريقية، التي اختلفت من مخازن عمومية إلى مخازن خاصة و الكثير من هذه الأخيرة كان مخصص للتسويق[2].

ولنا أمثلة كثيرة عن هذه المخازن العمومية، ففي البروقنصلية نذكر مخازن قرطاج، أوتيكا، كامارت، حرقلة، جبل سكيرة بالقرب من تستور، أما في مقاطعة نوميديا لنا أمثلة مخازن روسيكادا، وجنوب ميلاف (ميلة) وكذا كويكول (جميلة)[3]أما موريطانيا القيصرية فقد وصلتنا إشارات عن مخازن ريحان بأقواس البحرية حاليا، وصلداي (بجاية)، بالإضافة إلى مخازن عين زادا، عين الروى وأخيرا توبوسكتو (تيقليعث) بضواحي القصر –بجاية، حيث قدمت لنا أثار هذه المخازن المنتشرة في المدن، فكرة عن واقع هذه الزراعة وهي أدلة على بقاء نشاط زراعة الحبوب خلال فترة الأزمة.

يظهر أيضا هذا الاهتمام بالزراعة الحقلية في مشاهد الفسيفساء المتمثلة في أعمال الحرث و البذر و الزرع بين أشجار الزيتون و الكروم، حيث ذهب الأستاذ شنيتي إلى تفسير ظاهرة عدم تصوير أعمال التنقية للحشائش الضارة في الكثير من الفسيفساء إلى كون أن التربية استغلت أحسن استغلال لتصبح ذات جودة عالية[4].

[1]- Bonifay(M), op cit,P.479.

[2]-بشاري(م،أ)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق،ص-337.

[3]-نوارة (ع)، الخريطة الاثرية لمنطقة ميلة وضواحيها في العهد الروماني، المرجع السابق،ص-256.

[4]-شنيتي محمد البشير، صور من الحياة....ص،ص226-227

2- الجانب الصناعي

أ- الصناعة الفخارية:

ارتبطت الصناعة الحرفية في المقاطعات الإفريقية خلال القرنين الثالث و الرابع من جهة بالتطور الفلاحي و الصناعة الغذائية، ومن جهة أخرى بوفرة المواد الأولية كالصلصال الجيد و الخشب، وهذا ما يفسر الانتشار الواسع للصناعات الفخارية و الخزفية بنوعيها الخاصة بالحفظ و النقل أو تلك المرتبطة بالاستعمالات اليومية، كأواني المائدة والبيت عموما وكذا القناديل الزيتية، حيث يذكر الباحث بونيفاي بأن أثار الفخار الإفريقي انتشرت على نطاق امتد من البرتغال غربا إلى البحر الأسود شرقا ومن مصر جنوبا إلى الجزر البريطانية شمالا، الواقع الذي يؤكده الانتشار الواسع للورشات ومصانع الفخار بالمقاطعات الإفريقية و خصوصا بالبروقنصلية المصانع عرفت نشاط كبير خلال الفترة الممتدة من القرن الأول للميلاد إلى غاية نهاية القرن الرابع ميلادي[1].(**انظر الملحق رقم6**)،ص(**103**).

ب- صناعة القناديل "المصابيح" الزيتية:

ذكر القديس أوغسطينوس في إحدى رسائله وهو متعجب عن الظلام الذي كان يسود روما، في حين يقارنها بالحالة التي كانت قائمة في المقاطعات الإفريقية التي كات مشعة بأضواء المصابيح وفي كل المنازل، هذه الشهادة توحي أيضا إلى الاستعمال الواسع للقناديل الزيتية في المقاطعات الإفريقية وبالتالي دلالة على صناعتها وتجارتها الرائجة[2].

يظهر من خلال نتائج دراسة أثرية أن صناعة المصابيح الزيتية الفخارية عرفت رواجا كبيرا في المقاطعات الإفريقية خلال النصف الثاني للقرن الرابع للميلاد، ورغم أن الدراسة انحصرت جغرافيا على الجزء الغربي لمقاطعة موريطانيا القيصرية إلا أنها أشارت إلى بعض الملاحظات العامة التي ارتبطت بهذه الصناعة في شمال إفريقيا حيث العينة وجود سبع عشرة خاتم (طابع) لورشات إفريقية تعود للقرن الرابع للميلاد[3].

كما أشارت الدراسة إلى رواج البضاعة الإفريقية محليا بين المقاطعات، كما تضيف بأن موريطانيا القيصرية احتضنت ورشتين مهمتية لصناعة المصابيح الزيتية، فالأولى بتيبازة و الثانية بشرشال، حيث عثر على منتجات هاتين

---

[1]- Bonifay(M), op.cit.,p-449.

[2]- Camps (Faber H.), L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, imprimerie officielle, Alger-1953., op.cit., p64

[3]- صندوق ستي ،دراسة تنميطية للمصابيح المحفوضة بالمتحف الوطني أحمد زبانا لمدينة وهران، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران 2007،ص 164

الورشتين بمواقع بموريطانيا الطنجية و البروقنصلية، خلصت أن الصناعة الفخارية الإفريقية اكتسحت أسواق الحوض المتوسط خلال نهاية القرن الرابع وكان أغلبها من ورشات ومصانع البروقنصلية[1]، إذ أصبحت البروقنصلية تعج بورشات ومصانع المصابيح السيجيلية،و التي تنوعت في النماذج من حيث الشكل و الزخرفة[2] .

(انظر الملحق رقم07)،ص(104)

ج- صناعة الجرار و الأمفورات:

عرفت الصناعة الفخارية المرتبطة بالجرار و الأمفورات تطورا كبيرا جدا بداية من نهاية القرن الثالث وطوال القرنين الرابع و الخامس، حيث انتشرت مصانع كثيرة في المقاطعات الإفريقية وخصوصا في إقليم طرابلس و البروقنصلية، رغم أن بعض المهتمين ذهبوا للقول أن الفخار الإغريقي نافس الافريقي وخصوصا في السوق الغالية، إلا أن الباحث بونيفاي خلص إلى تفصيل كما سبق وذكرنا بالقول أن الفارق ارتبط بالحجم وسعة حمولة الوعاء، إذ كانت سعة الجرة و الأمفورة الإغريقية تتراوح بين 6 لتر غلى 26 لتر من السائل المحمول في حين الافريقية كانت سعتها تصل إلى 70لتر، رغم أن البقايا الأثرية أكدت تصدر البروقنصلية المقاطعات الإفريقية في صناعة الجرار و الأمفورات إلا أن استطاع فرز ثلاث أصناف من جرار إفريقية كانت كثيرة التداول خلال القرنين الثالث و الرابع وهي موريطانية لكنه خصها بالنبيذ و السمك المملح[3].

د- الصناعة النسيجية:

كانت الصناعة النسيجية حاضرة خلال القرن الثالث و الرابع، لكنها لم ترقي إلى نشاط مؤثر كونها ارتبطت بنشاط فلاحي أخر وهو تربية المواشي الذي حسب ما يبدو لم يكن مهتم به، ففي إحدى المقامات تحث القديس أوغسطينوس عن رجل أعمال اسمه ألفيوس كايكيليانوس (alfius caecilianus) متوسط الثروة من مدينة أبثيقني (abthugni) هنشير الصوار حاليا*[4]، بالجنوب الداخلي لأوتيكا، حيث استثمر في حرفة النسيج و الخياطة، فكان بسيط التصرفات، حيث يعمل إلى جانب مستخدميه ويقاسمهم وجبات الأكل[5]، و الاشارات القليلة بينت أن هذا

[1]- المرجع السابق ص،164.

[2] - bonifay(m),op.cit,pp-317-328.

[3]- Ibid ,P 446.

* هناك مراجع تنسبه الى مدينة زيكا بالقرب من زغوان حاليا راجع : Leveau (P.), op cit ,P-187

[4] - Leveau (P.), op cit ,P-187

النشاط مثلته اليد العاملة النسوية، حيث وجدت آثار لورشات للنسيج في كل من قرطاج وبجزيرة جربة حاليا بموقع منيكس (meninx) وشولو (القل حاليا) و العائدة إلى فترة القرن الثالث، هذه المؤشرات تدفعنا لترجيح القلة إلى أن هذه الصناعة كانت موجهة للسوق الداخلية.[1]

نفس الحال كان مع الصناعة المنجمية، فحسب المعلومات المتوفرة فإن نشاط هذا القطاع كان ضعيفا مقارنة بالمقاطعات الغربية[2]،وكان سبب ذلك يقول روستوفرزف أنه راجع إلى تخوف السلطة المركزية من تعاظم قوة العبيد العاملين بها[3].

3- الجانب التجاري:

أدت الفوضى السياسية و العسكرية إلى فشل وعجز السلطة الرومانية على وضع سياسة اقتصادية طارئة مما انجر عنه من ركود صناعي وتجاري في أغلب مقاطعات الإمبراطورية، فبالنسبة للتجارة الخارجية فكان للمقاطعات الإفريقية النصيب الأوفر في هذا النشاط، إذ يفهم من المعلومات في المصادر و المراجع أنه بداية من نهاية القرن الثالث وخلال القرن الرابع ظهرت تجارة حرة في المقاطعات الافريقية حيث تحرر هذا النشاط من الاحتكار الرسمي للإدارة المركزية بروما وبعض الاقلية الأجنبية عن المقاطعات الافريقية[4]، هذه الأقلية الأجنبية المتمثلة في السماسرة الايطاليين بالدرجة الأولى، اللذين كانوا متمركزين في المدن الموانئ وبعض المدن الداخلية الكبرى، بالإضافة إلى بعض المستثمرين اللذين لم يكونوا مقيمين في إفريقيا[5]، لكن مع نهاية القرن الثاني فقد هؤلاء السيطرة أمام الأرستقراطية المحلية حديثة البروز وذلك لعدة اعتبارات، تتقدمها ظاهرة التوسع الحضري الذي شهدته المقاطعات الإفريقية وما ترتب عنه من تحولات اجتماعية[6]، هذا الواقع الذي كان نتاج الاصلاحات الأنطونية و السيفيرية[7]،وهذه الاجراءات التي كانت بخلفيات سياسية واقتصادية وذلك كنتيجة لانعكاسات الوساطة التجاري التي احتكرها الأجانب عن المقاطعات

---

[1]- عقون (م.ا)،الاقتصاد و المجتمع ، ص ،123.

[2]. - Carrier (J.M),op.cit ;p546

[3]- م. روستوفرز،، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية و الاقتصادي،نج1،،تر. زكي علي، محمد سليم سالم، بدون تاريخ ،ص 244.

[4]- Carrier (J.M),op.cit ;p-528

[5]- قداش (م)، الجزائر في العصور القديمة، المرجع السابق،ص-193.

[6]-Lassére(J.M), Vbique Populus, peuplement et Mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap), éd. CNRS – 2011.P-590.

[7]-الدراسة التي قامت بها الأستاذة رمضان تسعديت تحت عنوان "الإصلاحات السيفرية في بلاد المغرب القديم (193-235م).

الافريقية حيث أشارت بعض المصادر إلى تورط الكثير من جباة الضرائب وخصوصا مسؤولي الأنونة و حكام المقاطعات في استنزاف ثروات المقاطعات، والتي أثرت على الاقتصاد المركزي للدولة، إذ أصبحت المواد و المنتجات الافريقية تصل إلى روما باهضة الثمن[1]،و هو الطرح الذي ركزت عليه بعض الدراسات الغربية لتفسير تفوق التجارة الافريقية في الحوض المتوسط خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع.

كما أدى التطور الفلاحي و الصناعي الذي عرفته المقاطعات الافريقية إلى نشاط تجاري داخلي وخارجي ارتكز في الأساس على المواد الغذائية وخصوصا الزيوت و الخمور لتأتي في الدرجة الثانية المنتوجات الصناعية الحرفية و الغذائية الثانوية وخصوصا ذات العلامات المسجلة، في حين قلت الاشارات التي تتحدث عن واردات وصلت المقاطعات الافريقية بحجم معتبر[2].

أ- التجارة الداخلية:

ذكرت بعض المراجع أنه خلال القرنين الثالث و الرابع احتلت المقاطعات الإفريقية المرتبة الأولى عن باقي مقاطعات الإمبراطورية في عدد الأسواق الداخلية، وهي نتيجة طبيعية لوفرة الإنتاج بكل أنواعه، الفلاحية و الصناعية، كما أن هذه الأسواق تميزت بالوظيفة الاقتصادية و الاجتماعية البحتة، حيث غاب عنها التوظيف و الاستغلال السياسي الذي كان قائم سابقا[3]، فظهرت الأسواق الحضرية في أغلب المدن المهمة مثل البولاي، ألتاوا أوزيا، كويكول، تيمقاد، لمبيز، مداروش، دوقا، بولاريجيا، هيبون، لبدة الكبرى...وكانت يومية في شكل مصغر خاصة للاستهلاك المحلي ولنا في سوقي مدينة كويكول (جميلة) و المعروف بسوق الإخوة كوزينوس (cosinius) وسوق سيرتيوس بتيمقاد أحسن النماذج عن الأسواق اليومية لكل المستلزمات الغذائية[4] وتبين من خلال الدراسات الأثرية و و التاريخية أن هذه الأسواق بقيت نشيطة خلال القرن الرابع، كما وجدت أسواق شبه ريفية أخذت اسم نونديناي (nundinae) التي كانت منتشرة خارج المدن الكبرى مثل تلك التي كانت بضواحي سرتا كتديس، عين مشيرة (vicuspacalensis) و لاد خلوف و (mastarene castellum) مسعود بوجريو (عين كرمة سابقا)

[1]-عمران (ن)، رجال الدال و الأعمال الأجانب في الدقاطعات الإفريقية 146 ق.م 285 – م، مذكرة.ماجيستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ جامعة بوزريعة، الجزائر-2010 ،ص ص 106-116.

[2]- Carrier (J.M),op.cit ;p-528

[3]-بن مسعود ناصر، أسواق مقاطعة نوميديا ، دراسة معماري ،مقارنة للأسواق بتمقاد و كويكول، معهد الآثار ،جامعة الجزائر،1992 ،ص ص05-10.

[4]-Camps (H.F),op.cit.p-67.

بضواحي ميلاف[1]، هذا النوع من الأسواق يقام مرتين في الشهر، إلا أن نشاطها كان تحت رقابة المجلس البلدي القريب من خلال قاضي إداري[2]، يضاف إلى هاذين النوعين أسواق إقليمية و التي كانت في الغالب أسواق الجملة وينعتها البعض ب "المعارض"، إذ وردت في المصادر أيضا تحت اسم نونديناي (nundinae)[3]، فكانت حلقة وصل للسلع القادمة من عمق المقاطعات[4].

أما عن طبيعة المواد المتداولة داخليا فكانت مختلفة ومتعددة، ولنا في الانتشار الواسع للفخار بكل أنواعه في مناطق مختلفة داخل المقاطعة الواحدة دليل على نشاط تجاري لهذه المنتوجات الصناعية[5] يضاف إليها اهتمام بعض أباطرة فترة الفوضى بتشييد بعض الطرقات الجديدة وصيانة أخرى في البروقنصلية خصوصا، دليل على نشاط فلاحي وصناعي كان قائم، كما أن هذه المنتوجات كانت لها خصوصية التسويق المحلي حيث أظهرت الدراسات الأثرية أنها انتشرت في المقاطعات الافريقية ولم يعثر عليها في مواقع خارج إفريقيا، حيث عثر بقرطاج وضواحيها على فخار قدم من لبدة الكبرى، كما عثر بموقع بونجم على بقايا جرار خاصة بنقل السمك المملح و التي قدمت من موريطانيا القيصرية[6].

ب- التجارة الخارجية:

يعتبر الانتشار الكبير و الواسع للموانئ على طول الساحل الافريقي دليل على نشاط بحري، حيث بينت المصادر و الدراسات الأثرية و التاريخية أن هذه الموانئ عرفت نشاطا كبيرا خلال القرنين الثالث و الرابع، فبالنسبة للبروقنصلية نذكر موانئ: قرطاج الذي كان يستقبل زيوت وقمح المجردة و الواد مليان، بنزرت، ميناء حضر موت (سوسة) الذي استقبل زيوت تيليبتوسبيطلة، بالإضافة إلى ميناء كوربيس (curubis) سيدي داود حاليا، سيليكتومsellectumسلقطة حاليا، جومي (gummi) مهدية حاليا، مينائي صبراطة ولبتيس مانغا بالساحل الطرابلسي، حيث استقبلا السلع القادمة من جنوب الصحراء و المتمثلة أساسا في الذهب و العبيد والعج، في حين

[1]-نوارة عمار، الخريطة الأثرية لمنطقة ميلة وضواحيها في العهد الروماني...، المرجع السابق،ص262.

[2]- روستوفرز ، المرجع السابق ،ص 236.

[3] - Leveau (P.), op cit ,P-171

[4]-Camps (H.P),op.cit,p-69.

[5]- عقون (م.ا)،الاقتصاد و المجتمع ، المرجع السابق ، ص ، 134

[6]-Bonifay(M),op-cit-p-449-452.

ميناء هيبون كان يستقبل قمح قالما وزيوت مادور (مداوروش) وتيفست (نبسة) أما في مقاطعة نوميديا فخصت كل من روسيكادا (سكيكدة) وشولو (القل) اللذان كانا يستقبلان قموح سرتا وزيوت لمبير وتيمقاد[1]،

أما بالنسبة لمقاطعة موريطانيا القيصرية تحدثت المصادر عن ميناء(musluvium) سيدي ريحان بأوقاس زراعية وأخرى متميزة، يضاف إليها ايجيليجلي الذي تختص في تصدير الزيت[2]، وميناء صلداي (بجاية)، ميناء (rusguinae) برج البحري حاليا، تيبازة، قيصرية، تنس، بطيوة، (p.magnus)، وميناء سيقا الذي كان النقطة الأساسية في تجارة موريطانيا القيصرية في شقها الغربي، إذ بينت أثار شبكة الطرقات ومساراتها بأن الميناء كان يستقبل السلع بمختلف أنواعها التي كانت تصل من الداخل وخصوصا الاقليم الذي عرف بسهول التافنة ومن أقصى جنوب موريطانيا القيصرية[3].

هذا التعدد و الانتشار الواسع لهذه الموانئ وشبكة الطرقات التي كانت تربطها بمناطق الانتاج، هذه الطرقات عرفت اهتماما كبيرا من طرف السلطات ، كل هذه العوامل ساعدت في النشاط التجاري حيث تنوعت الصناعات ، كما وردت إشارات في بعض المواقع بالمقاطعات الشرقية تتحدث عن مفاوضات ومناقصات تجارية كان يقوم بها خواص أفارقة من أجل الفتك بصفقات، حيث كانت تقدم هدايا للطرف المشتري و المتمثل في الوكلاء نفس الفكرة أكدتها بعض الشواهد الأثرية التي عثر عليها بمدينة أوستي بروما، ولعل أهمها ما عرف بساحة الاتحادات الحرفية و المهنية حيث ضمت واحد وستين (61) مكتب مرتبط بمختلف الحرف و السلع التي كانت متداولة في هذا الميناء، حيث أشارت إلى علاقات وطيدة بين مسيري هذه الميناء مع بعض التجار الأفارقة ومكانتهم المرموقة، (**انظر الملحق رقم 08**)ص(**105**). يضاف إليها إشارات وحديث عن مخازن كبيرة في بعض المدن الافريقية والتي كانت ملكا لخواص، حيث استغلت في تخزين مواد "الأنونة" ومواد أخرى خاصة للتسويق العادي، يضاف إليها اشارات لامتلاك بعض هؤلاء التجار الكبار لسفن خاصة لنقل بضائعهم المتميزة[4](**انظر الملحق رقم 09**)ص(**106**).

[1]-غقوان (م.أ)، الاقتصاد و المجتمع...، المرجع السابق،ص-119.

[2]-بشاري (م.ا) موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق،ص-334.

[3]- camps (h.f),op.cit.p-67

[4]-carrier (j.m),op.cit.p-584.

المطلب الثاني: في المجال الاجتماعي

إن ما نستشفه في بعض المصادر و النقوش يظهر أن هناك قبائل متاخمة لليمس كانت كثيرة النشاط المعادي للرومان، وقد تمثلت في البوار و الباقواط ومجموعة تحالفت ضد الرومان عددها خمسة سميت بقبائل الحلف الخماسي(quinquegentis)*، ومما لاششك فيه أن هؤلاء القبائل كانوا قد فرضوا حالة عدم الاستقرار داخل الادارة الرومانية التي فشلت في محاولة استمالة أمراء البوار وإبرام اتفاقيات سلم معهم[1]، غير أن بعض رؤساء القبائل ورغبة منهم في الاستئثار ببعض المناصب القبلية أو بعض الثروات الموروثة حدث بينهم خلاف، مثل ما كان بين أبناء نوبيل الذي ترك أملاك كثيرة وثروات طائلة، فاستغلت روما ذلك الوضع لتثير الفتن وتشجع التفرقة وتغذي التناحر[2]. وهكذا انتشرت الفوضى و الثورات مثل ثورة فيرموس، وظهرت طموحات تحررية غذاها الصراع الذي كان على أشده بين إتباع الكنيسة الرسمية، والدوناتيين[3]، والذي برز في شكل صراع اجتماعي ديني خلخل نفوذ السلطة الرومانية في أواسط المجتمع المدني، ونال من حرمتها عندما تحيزت للكنيسة الكاثوليكية واضطهدت أتباع الكنيسة الدوناتية، وهو ما سنوضحه لاحقا(الانعكاسات الدينية)[4].

وهكذا عجزت الإمبراطورية الرومانية عن الاحتفاظ بهيبتها داخل المقاطعات التي أنهكها ثقل الضرائب وكثرة المظالم، مما ترتب عنه عدة نتائج أهمها:

-تطلع الإمارات المورية إلى تحقيق المزيد من المكاسب الترابية أو الانفصال عن السلطة الرومانية.

-قابلية المجتمع المدني أو الريفي المتأثر بالمسيحية على التمرد على السلطة الرومانية لصالح الحركة الدوناتية التي كانت تستخدم جماعة الدوارين كطلائع ثورية .

*- قبائل الحلف الخماسي: هي اتحاد مجموعة من القبائل المورية تكونت بعد حدوث عدة معارك مع الرومان وقد كان على رأسها قائد يدعى فراكسان وهي قبائل لم يتم رومنتها.. تقع مضاربها في المنطقة الجنوبية من النجود لمزيد من المعلومات انظر: محمد الهادي حارش ، المرجع السابق، ص ص455-247.

[1]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص347.

[2]-Camps G , op cit , PP , 257-358 .

[3]-محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، ص ص .285-315.

[4]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص.295-305.

تميز الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم بالصراع المتواصل بين أهالي المنطقة وحكام المقاطعات، بحيث لم تعرف المنطقة أثناء فترة حكمه الاستقرار و الأمن على مدى القرون الأربعة التي استغرقها الوجود الروماني[1].وقد تطلب ذلك الوجود استحكامات عسكرية فعالة لحماية المؤسسات المدنية، ورسم الحدود الفاصلة بين ما يقع تحت سلطة الإدارة الرومانية وما كان خارجها الذي اصطلح على تسميه كما ذكرنا سابقا بخط الليمسlimes ، كما كان من الأهداف العملية التكتيكية للعسكرية الرومانية أن توزعت وحداتها جغرافيا بغية تكريس الاحتلال الكلي، الذي صار يتصف بأنه أكثر احتكاكا بأهل البلاد وأشد قسوة عليهم لدرجة أنه حد من حريتهم في الحركة و التنقل.[2]

من هذا المنطلق، نرى أن سياسة الإبعاد التي مارستها المؤسسة العسكرية و المدنية الرومانية في حق الأهالي صارت واضحة المعالم، وبالتالي فالأعمال العسكرية المشار إليها كانت قد عملت على تغيير الخريطة الديمغرافية بتكثيف الاستيطان الروماني ومحاولة تغليب العنصر البشري الأجنبي وإبعاد السكان الأصليين عن مواطنهم وذويهم[3].

إن طبيعة الحكم العسكري وما ترتب عنه من إجراءات قسرية على الأهالي أدت إلى تراكم الأعباء و الخدمات على الأفراد وشملت ميادين كثيرة، فتطورت الضرائب تدريجيا بتطور احتياجات الدولة ،كما أن حالة الطوارئ التي أعلنتها الامبراطورية الرومانية في بلاد المور، لم تكن إجراءات طارئة استثنائية في الأوقات العصيبة بل اتخذت صفة الديمومة[4]،وهكذا تحولت الأعباء إلى صفة القاعدة القانونية التي ترتكز عليها السلطة المركزية و الجهوية لإجبار الناس على مالا طاقة لهم به[5].

هذا ما أدى إلى عدة انعكاسات اجتماعية خاصة فيما يخص الحركة السكانية من حيث النمو الديمغرافي وكذا الهجرة بين المدينة و الريف و الهجرة بين الجنوب والشمال.

1- الحركة السكانية

واضح من خلال الدراسات التاريخية التي اهتمت بأحداث أزمة القرن الثالث وتداعيات في المقاطعات الإفريقية، بروز حركة سكانية جديدة كانت لها تأثيرات وانعكاسات مهمة، سواء تلك التي كانت على طول خط الليمس أو في

[1]-محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1،الجزائر،ص118.
[2]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ج1،ص.272.
[3]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ج1،ص.282.
[4]-م. روستوفزر، المرجع السابق ،ص.533.
[5]-محمد البشيرشنيتي، المرجع السابق، ص.30.

عمق المقاطعات، و التي اختلفت من فردية إلى جماعية، فباستثناء الهجرات الرسمية الناتجة عن عمليات الترحيل الجماعي التي قامت بها السلطة، إذ منحت لها أراضي في مناطق معادية للعنصر الروماني، ثم دعمتها ، بكثير من الامتيازات الاقتصادية و الاجتماعية بهدف "خلق" نسيج حضري على الطريقة الرومانية، فإن أصحاب هذه الدراسات يختلفون في ترجمة دوافع هذه الهجرات وخلفياتها، حيث يرجعها البعض إلى كونها مجرد رد فعل طبيعي من أجل إبقاء النمط الاقتصادي القديم المبني على البداوة حيث الهجرة الموسمية[1]، في حين يرى البعض الآخر أن القضية تتعدى البعد الاقتصادي، بل هذه الحركة كانت نتيجة تعسف الإدارة الرومانية، التي تمادت في مصادرة الكثير من المكتسبات المادية و المعنوية[2].

وينظر إلى كون الحركة السكانية الجماعية التي شهدتها المقاطعات الإفريقية، سواء على حدود خط الليمس أو في عمق المقاطعات جمعت بين دوافع اقتصادية و اجتماعية بخلفيات تحررية، وبالعودة إلى الطابع هذه الحركة السكانية التي عرفتها المقاطعات الافريقية خلال القرن الثالث، فإنها نوعان كما سبق وأشرنا، ففردية وجماعية، فالفردية ارتبطت بمسار بين المدينة و الريف، أما الجماعية فكانت مرتبطة بمسار جنوب –شمال وغرب- شرق، في كلتا الحالتين كانت بطريقة عكسية إذ تحكمت فيها مجموعة من الروف الاقتصادية و الاجتماعية للمهاجر.

أ- الهجرة بين المدينة و الريف:

حسب الإحصائيات المستقاة من المصادر بنوعيها و المرتبطة بالكثافة السكانية في المدن الكبرى بالمقاطعات الإفريقية، و التي تحدثت عن حوالي ثلاثة ملايين نسمة خلال القرن الأول للميلاد، في حين ارتفع العدد خلال النصف الأول من القرن الثالث إلى مابين 4 و 7 ملايين نسمة[3]، هذه الإحصائيات المعتبرة دفعت ببعض الباحثين إلى إعادة النظر في فكرة ظاهرة النمو الديمغرافي، حيث ذهب جون ماري لاسيير إلى القول أن أغلب المنازل التي بنيت خارج حدود المدينة القديمة كانت ذات طابع بسيط قد تكون لحرفيين وتجار صغار، كما أشار إلى حالات الهجرة من المدينة باتجاه الريف، حيث تحدث عن هجرة منازل بالكثير من مدن موريطانيا القيصرية مثلما كان الحال مع مدينة

[1]-خالد محفوظ ،" المقاومة الإفريقية ضد الاحتلال الروماني بين إشكالية الثورة و الانتفاضة أحداث القرن الثالث ميلادي نموذجا "، أعمال الملتقى الوطني الأول تحت عنوان " المقاومة الجزائرية عبر العصور ، إشراف قسم التاريخ و الآثار ، بالتنسيق مع المتحف العمومية الوطني ، سطيف2012 – ص ص42-43.

[2]-Carrier (J.M),op.cit.p-102.

[3] -Lassère (J.M.), Vbique Populus…, op.cit., p- 97;.

قيصرية (شرشال) ومدينة كويكول (جميلة) حيث بنيت على أنقاضها كنيسة خلال القرن الرابع[1]، وفي المقابل أشار شنيتي (م.أ) إلى فكرة أن ظاهرة الهجرة التي عرفتها المقاطعات الإفريقية بين المدينة و الريف خلال القرنين الثالث و الرابع مست بالأساس التل الزراعية[2].

نفس الحال كان قائم في عمق جنوب نوميديا الذي عرف نشاطا اقتصاديا خلال النصف الثاني من القرن الثالث و القرن الرابع حيث نافس إقليم المزاق بالبروقنصلية و خصوصا في إنتاج الزيتون ومشتقاته، الأمر الذي فسر بظهور تجمعات سكانية نشيطة في المنطقة، التجمعات التي كانت حسب اعتقادنا وليدة نشاط بشري نفس الظاهرة كانت حاضرة في موريطانيا القيصرية وموريطانيا السطايفية لاحقا، حيث تطورت العمارة الريفية على حساب المدن[3]، هذا الواقع قد يدعم الفرا من المدينة نحو الريف، أما عن أسباب وخلفيات هذه الهجرات واختلاف مساراتها، فيمكننا حصرها في الدوافع الأمنية و الاقتصادية كما يلي:

- **العامل الأمني:**

أدت ظاهرة انشغال الجيش بالصراعات السياسية و التسابق نحو العرش، إلى عدم التركيز على المنظومة الدفاعية على الحدود وحتى في عمق المقاطعات كما سبق وأشرنا إليه، الشيء الذي شجع الكثير من الشعوب المعادية للرومان لتهاجم الحدود ومناطق نفوذ السلطة الرومانية، فاختل الأمن في أرجاء الامبراطورية، الأمر الذي دفع بالكثير من المواطنين الرومان و المتعاملين معهم للإسراع للتحصن داخل المدن التي كانتوفر الأمن وكنت على شكل هجرات من الريف إلى المدينة[4].

- **العامل الاقتصادي**

كانت الأزمة الاقتصادية التي عرفتها شبه جزيرة إيطاليا و المقاطعات الأوروبية سببا في ازدياد الضغط على المقاطعات الإفريقية كونها غنية ولم تتأثر بالتداعيات الأولية، حيث لجأت الإدارة الرومانية إلى إقرار زيادات ضريبة على جميع السلع التجارية بنسب تراوحت بين 2 %إلى 12% ، كما فرضت ضرائب جديدة، الأمر الذي دفع بالسكان

[1] - Lassère (J.M.), op.cit., p ;587.

[2] - محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني،المرجع السابق،ص ص ،312-313.

[3] - نوارة (ع)، الخريطة الاثرية لمنطقة ميلة وضواحيها في العهد الروماني، المرجع السابق،ص ص ،277-279.

[4] - خالد (م) المقاومة الإفريقية...، ص ص ، 204-205.

و الحرفيين بالخصوص للهجرة خارج المدينة هروبا من رقابة الدولة، هذا الطرح دافع عنه الباحث لاسيير lassére و من خلال الإشارة إلى هجرة معتبرة من المدن بداية من القرن الثاني للميلاد باتجاه المناطق "شبه ريفية" أي بضواحي المدن كنتيجة نشاط هذه المناطق اقتصاديا[1]، وهو ما أدي إلى نموه ديمغرافي معتبر في الأرياف مقارنة بالمراكز الحضري الكبرى وخصوصا في البروقنصلية[2]، فخلال القرنين الثالث و الرابع عرفت المنطقة الجنوبية لنوميديا و الجهة الغربية لإقليم المزاق تطورا زراعيا باهرا وخصوصا الزراعة الشجرية، الواقع الذي يمكن اعتباره مؤشرا على حركة سكانية جديدة قد تكون من المدن الكبرى إلى مراكز ريفية، حيث وفرت يد عاملة، الأمر لذي ساعد في بروز مراكز حضرية جديدة تعود إلى فترة النصف الثاني للقرن الثالث واستمرت خلال القرن الرابع، وخصوصا المستعمرات في المناطق الداخلية مثلما كان الحال مع مقاطعة البروقنصلية، والكثير من المناطق في كتلة الأوراس الشرقي خصوصا ،وفي نوميديا يضاف إلى هذا، واقع أن الريف أصبح يستقطب اليد العاملة بعدما ظهرت مستثمرات فلاحيه ورشات حرفية بالإضافة إلى مصانع كانت تابعة لأرباب عمل من الأفارقة اللذين أطلق عليهم مصطلح الأثرياء الجدد، بعدما أنهوا احتكار المدينة للأنشطة الاقتصادية[3].

ب- الهجرة بين الجنوب و الشمال:

بالعودة إلى الإجراءات العسكرية و الأمنية التي اعتمدتها السلطة الرومانية على طول التخوم الجنوبية (الليمس) سواء في البروقنصلية أو نوميديا و موريطانيا، إذ اتضح جليا تراجع نفوذ الرومان مقابل زحف لقبائل محلية من الجنوب نحو الشمال، هذه القبائل التي كانت تسعى للعودة إلى أراضيها ومجالاتها الحيوية التي صودرت منها سابقا[4] وهي الفكرة التي طرحها الباحث عقون محمد العربي بالقول أن مركز الثقل السكاني في المقاطعات الافريقية كان الريف[5]، هذه المؤشرات تدفعنا للتفكير في عوامل هذا الواقع الديمغرافي.

يذكر الباحث جون ماري لاسير بأن أغلب هذه الحركات السكانية لم تواجه أي صعوبات في تنقلاتها ولا في تكيفها مع البيئة الجديدة، وذلك لعاملين أساسيين، فشساعة المجالات الحيوية و التكامل الثقافي مع سكان المناطق

[1]- اللافي سالم ناصر، إصلاحات الإمبراطور(دقليديانوس)وأثرها السلبية و الايجابية على الإمبراطورية الرومانية 284 م 305 م، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة المرقب -ترهونة، ليبيا - 2008 .ص ص ، 10-12

[2] -Lassère (J.M.), op.cit., p ;573.

[3] -Lassère (J.M.), op.cit., p ;181-183.

[4]- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني،المرجع السابق،ص ص ،211-212.

[5]-عقون (م.أ) الاقتصاد و المجتمع...، المرجع السابق ،ص ص276-279.

المقصودة الأمر الذي سهل التفاعل و التأقلم بسرعة[1]، ويستدل في ذلك بحديث عن حركة سكانية خلال نهاية القرن الثاني من مقاطعة نوميديا و موريطانيا بحثا عن الأراضي الصالحة للعيش(**انظر الملحق رقم 10**)**ص**(**107**)، حيث تشير الكثير من الدراسات الأثرية و التاريخية، إلظاهرة صمت المصادر خلال فترة الأزمة وما تلاها في ذكر الكثير من القبائل التي كانت محل اهتماماتها خلال القرنين الأول و الثاني، وذلك نظرا لمناهضتها للسلطة وخصوصا في البروقنصلية و نوميديا الشرقية، الواقع الذي ترجمه البعض على أنها هجرة لهذه القبائل من مواطنها الأصلية، كما سجلت حركة سكانية في النصف الأول من القرن الثالث وتواصلت بعده، وبمسار جنوب شمال ،نحو أقاليم الحضنة و الزيبان وجنوب متليلي في موريطانيا القيصرية[2]، من خلال منافذ كانت في الغالب مراكز جمركية سابقا، هذه المراكز التي أطلق عليها الباحث قداش محفوظ "نقاط التسلسل" هذا الواقع أكدته المصادر الأثرية وأخبار الرحالة العرب الأوائل بالبلاد المغاربية حيث وجدوا منطقة الحضنة قاعدة عمرانية مرتكزة على نشاط اقتصادي و الناتج عن تفاعل سكان المنطقة مع أصحاب السلطة من "المرومنين" أما في الجنوب الشرقي لمقاطعة نوميديا فكانت على شكل عودة إلى الأوراس و النمامشة حتى جنوب قفصة[3].

نفس الحالة شهدتها الهضاب الممتدة من سطيف غربا إلى غاية باتنة شرقا، حيث عرفت المنطقة نشاط اقتصاديا نتيجة حركة سكانية كانت امتداد لسابقتها، الشيء الثابت في بعض الدراسات، التي أشارت إلى بروز سلالة من الغنم خلال القرن الثالث في المناطق الداخلية للمقاطعات الإفريقية علما أنه أصيل المناطق الشبه صحراوية حيث ارتبطت تربيته مع البدو الرحل، هذا المؤشر الذي دفع بالبعض لاعتباره دليل هجرة من الجنوب نحو الشمال، دون استبعاد عامل التجارة[4].

نفس الظاهرة شهدتها مقاطعة البروقنصلية، حيث ترجم تراجع السيطرة الرومانية في جنوب طرابلس بأنها استراتيجية دفاعية، غير أنه كان أمرا واقعا فرض على السلطة الرومانية خلال نهاية القرن الثالث جراء ضغط سكاني من الجنوب باتجاه الشمال من طرف قبائل شبه صحراوية، قيل أنها كانت تمارس السطو و النهب على المدن الكبرى المنتشرة على الساحل، والحقيقة أنها كانت هجرات عدة ومتتالية، هذه الحركة السكانية الظاهرة، تناولها مجموعة من

[1] -Lassère (J.M.), op.cit., p ;20.

[2] - Lassère (J.M.), op.cit., p ;181-183

[3]- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص ،185.

[4] - Leveau (P.), op cit ,P-199 .

الباحثين أمثال شنيتي، الأستاذ عيبش يوسف، حيث وضع هذه الهجرات في خانة الهجرات المشرقية حيث يقول أن هذه الهجرات المشرقية فرضت واقعها خلال العهد البيزنطي مرتكزا في ذلك على مجموعة من مراجع، ليخلص للقول أن هذه الحركة السكانية التي عرفتها الجنوبية لمقاطعة طرابلس تعود بدايتها إلى نهاية القرن الثالث[1]، حيث قادها سكان جدد في المنطقة يتميزون بأنهم بدو رحل*، كانت وجهتهم الأولية برقة لكن أنظارهم كانت مصوبة أكثر نحو الغرب، حيث تحركت بدافع ضعف الادارة الرومانية وتدهور نفوذها في المناطق الداخلية ليتطور أكثر على التخوم، وفي المقابل أشارت بعض الدراسات الأثرية إلى تشييد تحصينات في جنوب البروقنصلية خلال النصف الأول من القرن الرابع[2]، الأمر الذي يفهم أنه ضد حركة سكانية كانت زاحفة نحو الشمال، كما شهدت بعض المراكز الجمركية نشاطا خلال هذه الفترة وبداية القرن الرابع و يرجح أن هذه الهجرات ما هي إلا عودة تجمعات سكانية إلى مواطنها ومجالاتها الحيوية التي صودرت منها خلال العهد الإمبراطوري الأول لكنهم عادوا بوسيلة نقل جديدة وهي الجمل لذلك عرفوا في غالبهم ب "الهجرات الجمالية"*.

المطلب الثالث: في المجال الديني

أجمع أغلبية المؤرخين على دور التجارة و التجار الشرقيين في نقل الديانة المسيحية إلى المدن الساحلية الكبرى، كقرطاجة التي كانت ملتقى هاما للتجارة و التجار القادمين من مختلف أنحاء المدن وخاصة من المشرق، حيث كان معتنقوا الدين المسيحي يتكاثرون[3]. كما أتفق الكثير من المؤرخين كذلك على أن معابد اليهود (synagogues) في المدن الافريقية كانت أولى المراكز التي بلورت فيها حركة التنصير وانطلقت منها لكن اليهود فيما بعد اختلفوا مع المسيحيين واتسمت العلاقة فيما بينهم بالعداء الشديد[4].

---

[1]- عيبش يوسف، الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لبلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال البيزنطي ، أطروحة دكتورة، جامعة منتوري ،قسنطينة ،2007،ص ،249.

*- هؤلاء البدو الرحل ذكروا في المصادر اللاتينية بنعوت مثل الأوستريايني ، الأورسيليايني ،و هي نعوتتوحي الى وجهة جنوبية التي قدموا منها انظر : محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص ،328.

[2]- عيبش يوسف، الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لبلاد المغرب...، المرجع السابق ، ص ص ،249-258.

*- الهجرات الجمالية : ظهرت الهجرات بالجمال بقوة في البلاد المغاربية خلال الفترة المتأخرة من التاريخ القديم ،كما يظهر الانتشار الواسع للجمال اقليميا من طرف السكان المحليين المعادين للوجود الروماني خلال نهاية القرن الثالث و ما تلاه و عدم اقتصاره على الجهة الشرقية
أنظر : محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص ص ،316،322.

[3] -Monceaux (P.), Op. Cit., P. 10.

[4]-ابن خلدون، تاريخ العبر،مج2، دار الكتاب اللبناني،1966،ص294.

من جهة أخرى يلاحظ أنه لم يعثر المؤرخون أو الأثريون على أدلة كتابية أو مادية، تشير إلى تاريخ ما كان بداية لظهور حركة التنصير في المغرب القديم[1]، ولكن انتشارها مر بثلاثة مراحل أساسية، حيث تركزت في البداية في المدن الساحلية، ثم انتقلت خلال المرحلة الثانية إلى المدن الداخلية، أما أثناء المرحلة الأخيرة فقد تغلغلت في الأرياف[2].

لقد حضت المسيحية في المغرب القديم وأثناء العهد الروماني بإقبال شديد خاصة من طرف أفراد الطبقة الاجتماعية الدنيا، و الذين التمسوا في تعاليم المسيحية بغيتهم الروحية وطموحهم الاجتماعي، وهذا ما افتقدوه في الديانة الوثنية التي كرست نظام الطبقية و التفاضل بين بني الانسان[3]. وهكذا صارت المسيحية ملاذا للنفوس ومتحتوى فكري ونفسي يلجأ إليه مختلف طبقات المجتمع[4].

وبناءا على ماسبق يمكن حصر عوامل انتشار المسيحية في المغرب الروماني في العناصر التالية:

* الوضعية الاجتماعية و الاقتصادية السيئة التي كانت ضحيتها الطبقة الدنيا خاصة.

* الفراغ الروحي الذي حاولت الامبراطورية الرومانية ملأه بعبادة الإمبراطور.

* المحتوى الانساني الذي تضمنته المسيحية و الذي يتمثل في الأخوة و العدل ثم المساواة.

* سلوك دعاة المسيحية الذين كانوا يترجمون تلك المبادئ السمحاء، وتركيزهم على التآخي في الله، و التضامن الانساني و التآزر الاجتماعي.

* أصبحت المسيحة وسيلة يعبر بها الفرد عن موقفه اتجاه المؤسسة المدنية القائمة على القوة العسكرية و التمايز الطبقي[5].

[1]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص266.

[2]- Monceaux (P.), Op. Cit., P. 9.

[3]-محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص.ص.267-268.

[4]-محمد البشير شنيتي، الدوناتية وثورة الريفين خلال القرن الرابع، مجلة الأصالة،عدد1978،60،ص.26.

[5]- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص273.

1- تحالف الكنيسة مع السلطة

بعد انفراد الإمبراطور قسطنطين constantin بعرش الإمبراطورية عام 324م، اتضحت الصبغة الدبلوماسية في التعامل مع الديانة المسيحية وبرز ذلك من خلال ما كان يردده قسطنطين: "ليمارس كل منكم العقيدة التي يفضلها " وهو ما جعل الدارسين يلاحظون أن اعتناق الإمبراطور قسطنطين للديانة المسيحية كان يهدف إلى تحقيق أغراض سياسية عجز عن تحقيقها بالوسائل العسكرية، حيث صارت الكنيسة تشكل وسيلة قوية لجمع كل الرعايا المسيحيين وممارسة سلطة الإمبراطورية عليهم عن طريق الكنيسة التي تحولت إلى جهاز إيديولوجي قوي التأثير يخدم المصالح العليا للإمبراطورية الرومانية[1]، ومن بين الأدلة الهامة و الكثيرة التي يمكن أن نشير إليها هو ذلك الدور السياسي الكامن في تنصر الإمبراطور قسطنطين و المتمثل فيما يلي:

-طلبه من الكنيسة في إصدار فتوى في صورة قانون كنيسي تحرم الجنود المسيحيين الذين يتخلون عن سلاحهم أو يحجمون عن القتال، أي أن يتم إعلان الجندي الذي تتطبق عليه تلك المواصفات من طرف كنيسة المقاطعة التي ينتمي إليها بأنه كافر بالمسيحية[2].

لقد حول ذلك الأسلوب زعماء النصرانية من محايدين أو معارضين للسلطة الامبراطورية إلى عناصر مؤيدة لها تضحي بمبادئها التاريخية تقربا للإمبراطور مقابل امتيازات متنوعة استفاد منها رجال الكنيسة دون غيرهم كمثل إعفائهم من أعمال السخرة وحق ممارسة السلطة القضائية داخل الكنيسة إلى غير ذلك من الامتيازات التي أسالت لعاب الكثير من الوثنيين الذين تسابقوا إلى اعتناق المسيحية[3].

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها في هذا الصدد، هي وقوع الكنيسة تحت جناح الامبراطور وهذا بدوره أدى إلى فقدانها لقيمتها المعنوية خاصة لدى الطبقة المحرومة التي كانت وقودا لنيران الاضطهاد من قبل، وهكذا انحرفت الكنيسة تدريجيا عن المبادئ النضالية وقاطعت ماضيها الحافل بالتضحيات، ومن هنا يحق للمتمسكين بالأصول المسيحية الأولى أن يناهضوا الكنيسة التي تخلت عنهم وعن طموحاتهم ويعارضوا سلوكها المتخاذل مع السلطة. وقد أدى ذلك التحالف بين الكنيسة و السلطة إلى الانشقاق بين المسيحيين الأفارقة في صورة حزبين

[1]- محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق،ص.281.

[2] - Monceaux (P.), Op. Cit., PP; 22-23.

[3]- -أندري إيمار، جانين أبوابي، تاريخ الحضارات العام، مج2 ، ترجمة فريد داغر ،ص.564.

دينيين: الأول حزب موالي للدولة وعلى رأسه الكنيسة الرسمية و الثاني حزب معارض لهيمنة السلطة على الدين وعلى رأسه الكنيسة الدوناتية[1].

2- الحركة الدوناتية donatisme:

ظهرت الحركة الدوناتية علانية عام 305م وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد أعلامها الكبار وهو القائد دوناتوس (donatus*)، يشار إلى الحركة الدوناتية في كتابات المؤرخين القدماء على أنها حركة دينية مناهضة للسلطة و للكنيسة المتواطئة معها، وقد برزت في صورة تيار ديني مستقل رفض جميع أشكال التعاون مع السلطة، ممتنعا عن الامتثال لأوامر الإمبراطور الذي استغل المسيحية لأغراض سياسية، وذلك بتفريغها من مضمونها الأخلاقي و الاجتماعي، وبالتالي المحافظة على المبادئ الأصلية التي تجمع حولها المتنصرون الأوائل وضحوا من أجلها[2].

حملت هذه الحركة راية الرفض للخضوع لإرادة الإمبراطور، ومقاومة أساقفة الكنيسة الذين رفضوا بالانضواء تحت لواء الدولة وبوا شروطها، والتي تعتبر بالنسبة لهم نيلا شديدا من مبادئ المسيح وتحطيمها لقوة المؤمنين المخلصين للنصرانية[3]،ومن هذا المنطلق يمكن أن نستنتج بأن للحركة الدوناتية خلفية ريفية جمعت جمهورا متذمرا لسوء الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية، الأمر الذي جعل من هذه الانجازات الدينية حركة معارضة سياسية تطالب بتحسين الوضع القائم[4].

لقد اتهمت هذه الحركة بإشاعة الفوضى وتهديد الأمن، وهذا ما تسبب في حدوث الكثير من المعارك، خاصة سنة 374م بين الكنيسة وجيش الامبراطور المتحالفين ضد الدوناتية و الثوار الريفيين الذين وجدوا في هذه الحركة منفذا للدفاع عن كيونتهم.

---

[1]- محمد البشير شنيتي، المرجع لسابق،ص.283.

*- دوناتوس: هو أحد القادة البارزين في المغرب القديم، قاد ثورات عديدة ضد الوندال ثم البزنطيين. كان متمردا نتيجة للفقر و المجاعة، درس الدين المسيحي ثم تدرج في المناصب المسيحية، قاد الحركة الدوناتية وحولها إلى حركة عسكرية، فاستطاع أن يقلص نفوذ المذهب الكاثوليكي الروماني في وقته، أنظر : الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[2] -Monceaux (P.), Op.Cit, IV, P.112.

[3]- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص ص.285-295.

[4] -Monceaux (P.), « Léglise donatiste aux temps de S. Augustin », R. d'Histoire des Roli, 61, 1910, P. 20.

و هكذا تحولت الحركة الدوناتية إلى عقيدة نضالية توارثت الأجيال اعتناقها و الدفاع عنها وصارت تشكل رصيدا روحيا و نضاليا و عنصرا حيويا من العناصر المكونة لشخصيتهم التاريخية المتميزة بالروح الاستقلالية و النزعة نحو التحرر من القيود الأجنبية [1]

وممالا شك فيه هو أن طبيعة الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية و الأثرياء و السلطة من جهة. والدوناتيين و الثوار الريفيين من جهة ثانية، تفرض التقارب و التحالف بين من يشتركون في عدو واحد.

كما ذكرنا سابقا يمكننا أن نستنتج أن الوجود الروماني في بلاد المغرب القديم كان قد واجه العديد من الثورات المحلية التي امتزجت فيها الروح الدينية بروح التحرر خاصة خلال القرنين الثالث و الرابع الميلاديين ويعود السبب الرئيسي لتلك الثورات إلى الحرمان و التسلط الذي كان يعانين السكان المحليون، ولهذا استمرت الثورات العديدة التي ذكرناها سابقا وغيرها إلى غاية انحطاط الامبراطورية الرومانية ونهاية تواجدها بالمنطقة نهائيا[2].

[1]- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ،ص ص.293-294

[2]- محمد الصغير غانم ، المرجع السابق ، ص ،25.

المبحث الثاني: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم سنة(429)

المطلب الأول: أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

1- أصول الوندال:

ترجع أصول الوندال إلى إحدى شعوب القوط الذين أقاموا في القرن 3 ق م على شواطئ البلطيق ثم انتشروا في جرمانية وتعددت شعوبهم فكان منهم السويف و الآلان و الرغند و الوندال. وفي النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي تغلبوا على بلاد مقدونيا وبلاد الاغريق وانتشروا على ضفاف نهر الدانوب[1]بعضهم جنوبه وسمون القوط الشرقيون وبعضهم شماله ويسمون القوط الغربيون. واستقروا في إسبانيا سنة 409م ثم اتجهت أنظارها إلى بلاد المغرب لاحتلالها[2].

2- أوضاع بلاد المغرب قبيل الاحتلال الوندالي:

كانت مناطق شمال إفريقيا قبيل الاحتلال الوندالي تحت سيطرة الرومان. غير أن هذه السيطرة لم تكن محكمة، لرفض سكان المغرب للاحتلال الروماني. وما يدل على ذلك حملات المغاربة المتكررة، نتيجة وجود بعض الجهات ظلت محافظة على استقلالها وسط الحكومة الرومانية مثل جبال الأوراس، وجرجرة، والونشريس، وقد كانت هذه الجهات مادة تلقيح الحركة الاستقلالية. وقد كانت روما مهتمة بهذه المستعمرات ولا تريد تضيعها، لأنها كانت تنتج قدرا وفيرا من المنتوجات الغذائية، وخاصة القمح. وتصدر سنويا كميات كبيرة إلى روما. إلا أن ذلك الضعف الذي أصاب روما أدى إلى انشقاق كبير بينها وبين مستعمرات شمال إفريقيا. وبعد أن مات أونريوس سنة 423م خلفه في النهاية فالنيتان الثالث[3] vallentien ابن جالا بلا كيديا[4]. وكانت جيوشها تحت إمرة أتيوس وبونيفاس bonniface، وهذا الأخير كان يبذل جهده لئلا تتمرد إفريقية على الإمبراطورة الشرعية، (الإمبراطورية الرومانية)، التي حققت على البربر إنتصارات عسكرية. مما أدى إلى انتشار صيته وهو ما أدى إلى غيرة منافسه القائد العام أتيوس

[1] +محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص233.

[2] -محمد العيد بشي، المرجع السابق، ص195.

[3] -فالنيتان الثالث الذي كان في الرابعة من عمره وهو ابن جالا بلا كيديا فحكمت بلا كيديا خمسة وعشرون سنة بسم ابنها أنظر: شارل اندريه جوليان، المرجع السابق،ص 232.

[4] -المرجع نفسه، ص232.

الذي روج لبلاكيديا[1]أن بونيفاس، يريد الاستقلال بإفريقية وطلب منها أن تدعوه، ومن جهة أخرى أرسل إلى بونيفاس، أن الملكة تريد قتله لذلك لم يحضر إلى الملكة، فعزلته سنة 427م فرفض عزله وهو ما أدى إلى نشوب معارك بينهما. وقد هزم بونيفاس الجيوش التي أوفدها فيليكس لمقاومته، ولكن الجيش الذي كان يقوده كونت إفريقيا سجسفولت[2].وهو من القوط استولى في ما يبدو على (بونة عنابة) وقرطاج في أوائل سنة 428م. فأصبح بذلك وضع المتمرد بونيفاس خطير. وهو ما أدى إلى استنجاده بالوندال. ثم قبل الملك الوندالي جنسريق genisériс هذه الدعوة ولم يترك هذه الفرصة تفوته وجهز حملة عبر مضيق جبل طارق.[3]

3- أسباب الاحتلال الوندالي

لم يكن احتلال الوندال لبلاد شمال إفريقيا أمر مفاجئا بل تجمعت له عدة أسباب منها:

أن الوندال شعبة القوط، أمة شديدة البأس صعبة المراس. وهو ما تميز به قوم الوندال ويدل ذلك صياغة تاريخهم وإتحادهم في الأخلاق حتى أطلق الرومان عليهم اسم المتوحشين.

كان سكان إفريقيا يحتفظون بقدر وفير من المواد الغذائية وخاصة القمح فاستحقت إفريقيا أن تكون المخزن العالمي للحبوب. وأصبح الوندال أسيادا على معظم تراب أسبانيا في العشرينات من القرن 5م. قام ملكهم جنسريق بإكمال مهمة أخيه عندريق لتنظيم حملة على إفريقيا وكان جنسريق أعظم قواد ورجال الدولة الجرمانية في القرن 5م. وماكان لرجل على هذا القدر من البراعة أن يجهل ما كانت تتخبط فيه إفريقيا من فوضى[4].

خاصة ما آلت إليه الامبراطورية الرومانية، فضعفت السلطة المركزية لروما الذي ظهر في جوانب مختلفة للإمبراطورية، وضع الجيش وعجزهم على حماية المناطق البعيدة التي تسيطر عليها، وهذه الحالة من الفساد مست العلاقة بينها وبين مستعمراتها.

وشمال إفريقيا من أحد هذه المستعمرات التي أنتجتها هذه الفوضى وتمرد بونفياس على الإمبراطورية سنة 427م، ودخلت في حرب بينهما أدت إلى استدعائه، فصادف ذلك رغبة الوندال ولبوا مسرعين. وعلاوة على تمرد بونيفاس

[1]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص237.

[2]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص237.

[3]-المرجع نفسه،ص234.

[4]-محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص196.

كانت الثورات البربرية متزامنة وإنتفاضات الأقوام التي أرهقتها ضرائب الامبراطورية وإرهاب الدوناتيين، الذين كانوا يغتنمون جميع الفرص ليعبروا عن سخطهم إزاء السلطة السلطة المركزية. وانتهاز فرصة ضعف السلطة الرومانية، بسبب اشتداد المقاومة المغربية ومحاولة بونيفاس وإلى إفريقيا الرومانية، الانفصال عن روما والاستعانة بالوندال[1].

كانت إفريقيا بأكملها على غرار حكمها، تتوق إلى الاستقلال ومن الطبيعي أن يتوقع من تحدثه بالإغارة على هذا البلد. بمقاومة ضعيفة ومساعدات ثمينة ولم يترك جنسريق[2].الفرصة تفوته وأنتقل بجيوشه إلى إفريقيا فقد إنطلق من مضيق جبل طارق في ماي سنة 429م. والتحق بالسواحل الإفريقية من جهة طنجة وسبتة[3].

رغبة الوندال في الوندال في الوصول إلى روما عن طريق أقصى بلاد المغرب بعدما فشلوا في اقتحامها عن طريق روما. ورغبتهم في الاستيلاء على الثروات المغاربية، فلجميع هذه الأسباب احتل الوندال بلاد المغرب بطريقة وحشية استعملوها للتغلغل و الاستيلاء على الأراضي[4].

المطلب الثاني: سياسة الوندال في بسط سيادتهم على البلاد

عبر جنسريق مضيق جبل طارق إلى الضفة المقابلة لها من شمال غرب إفريقيا في 429م. مصحوبا بالوندال و الألان و القوط القاطنين بإسبانيا أي ما يقارب من 80 ألف نسمة منهم 15 جندي[5]، بالنسبة لتعداد الوندال وجنودهم فقط اتفق المؤرخين المغاربة على هذا العدد لأنهم اعتمدوا علة ما ذكره المؤرخ البزنطي بوركوبيوسprocopious الذي عاصر عصر جيستيان justinien، وقد يعود ذلك لأنه من القلة الذين اهتموا بتاريخ الوندال وأرخوا لهم، وأثناء زحفهم داخل البلاد تبع ذلك أعمال فظيعة من عبث بالأشجار، والمزروعات،وحرق الكنائس، وإمعان في تعذيب القساوة ورجال الكنيسة وتقتيل الشيوخ و الأطفال وهو ما يدل على نية الوندال الغازية[6].

[1]-المرجع السابق، ص195.

[2]-محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص196.

[3]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص238.

[4]-محمد الصالح العود، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية،534-429م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة،2010، ص 46.

[5]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص239.

[6]-محمد العيد بشي، المرجع السابق ،ص 196.

سعى القديس أو غسطين augustine إلى الصلح بين بونفياس و الحكومة الرومانية بروما ،فكلف بونيفياس بعد أن أعادته روما إلى ولايته من الوندال، الرحيل عن إفريقيا فقابله الوندال بالرفض، فقد توغل جنسريق في نوميديا، ولم يجد مقاومة تصده ولم يكن في مقدور الإمبراطورية أن تقف في وجهه وعندها قررت بلاكيديا العفو عن بونفياس ثم اعتصم (بعنابة هبيون) وحاصره جنسريق حتى توفي أوغسطين أثناء ذلك الحصار بعد ثلاثة أو أربعة أشهر في سنة 430م، ثم زحف الوندال على بقية البلاد دن مقاومة ما عدا مدينة كيرتا وقرطاج التي لم يحاول اقتحامها عنوة لقلة خبرته في الاستلاء على المدن[1].

وفي سنة 431م نزل بقرطاج جيش من القسطنطينية بقيادة أسبار aspar لنجدة البلاد من الوندال وانضم إلى جيش بونفياس، ولكنهما إنهزما معا في نفس السنة. ثم التجأ الرومان إلى الحلول السياسية و الدبلوماسية، بعد استعمال المجابهة بالقوة ولكنها حالت دون ذلك أمام الوندال ففي سنة 435 أبرمت "اتفاقية هبيون" والتي من بنودها إعطاء حق الاستقرار بنوميديا للرومان مطمئنين غير أن جنسريق لم يكن يعتبر تلك المعاهدة إلا هدنة تمكنه من الاستعداد لمواصلة هجوماته، وهو ما حصل في سنة 439م عندما حاصر مدينة قرطاجة، استولى عليها بدون أن يصادف أي مقاومة. ثم وقع عقد الصلح بين الطرفين سنة 442م، لكن جنسريق لم يحترم هذه الاتفاقية أيضا بل استعمله كوسيلة للوصول إلى غايته، ولم يقف عند إفريقيا بل استولى على طرابلس وعلى جزر بحر المتوسط، وفي بداية النصف الثاني من القرن 5م، احتل موريطانيا الطنجية، و القيصرية، وأصبح جنسريق في الظاهر على الأقل سيدا إفريقيا من أقصاها إلى أقصاها. إلا أن هذه المقاطعات الأخيرة لم يكن يحكمها حكم مباشر وكذلك نوميديا فهي أشبه بالمستقلة[2].

لقد كانت معاملة الوندال لأهل البلاد متفاوتة منها ما تميز بالخشونة ومنها ما كان معاملة لينة، وهذا الاختلاف في التعامل كان نتيجة الاختلاف في الدين وطبيعة التركيبة السكانية ومزاج وتصرفات ملوك الوندال، ورغم ما يتصف به الوندال من همجية إلا أنهم إلتجأو إلى المكر و الحيلة في كثير من الأحيان[3].

لقد افتك الوندال جميع الأراضي و المزارع الخصبة و البنايات اتي كانت لرومان وأبيد الأغنياء و الطبقة الأرستقراطية من الرومانيين وأقتسموها بينهم وجعلوا يستغلونها مع إعفاءهم من الضرائب التي كانت تثقل كاهن أبناء

[1]-محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، ط04، لبنان ، ب ت،ص133.

[2]-المرجع نفسه،ص134.

[3]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص245.

وحدهم، وقد هدم الوندال ما خلفه الرومان من حصون وقلاع وأسوار خشية من أن يستعملها الثوار و المتمردون من المحليين، كأماكن يلتجئون إليها. وكان الوندال متمسكين بمذهب الأريوسية وهو مغاير لمذهب الكاثوليك. الذي تتبعه كنيسة روما لذلك كانوا يضطهدون رجال الدين، الكاثوليك بإفريقيا ويقبضون على رهبانهم ويصادرون أموالهم ويهدمون كنائسهم أما معاملتهم لسكان البلاد فقد كانت لينة فيها شيئ من اللطف و المجاملة. الأمر الذي استمال قلوبهم ونفوسهم بالشعور بالكرامة وبالعزة القومية.[1]

لقد كان الوندال يحاولون الابتعاد عن الفتن، خاصة منها الداخلية، وإجتناب التصادم مع السكان الأصليين ولذلك فما كادوا يستقرون في البلاد حتى أمنوا أهلها على حقوقهم وساسوهم برفق. ومن الوسائل التي إلتجأ إليها جنسريق، التخلص من تلك الفتن التي قد تنشأ داخل البلاد، وهي أعمال القرصنة و اللصوصية فتلك العصابات المسلحة و المتمردة من الافريقيين قام بإشتراكهم في شن الغازات على السواحل الأوروبية على البحر المتوسط ونهبها، ثم تقتسم تلك الغنائم معهم بمدينة قرطاج[2].

إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا فبعد موت جنسريق 477م، ظهرت بعض الفتن وتمرد السكان الأصليين إضافة إلى ذلك، المشاكل الناتجة عن إظطهاد الكاثوليك، التي كان الوندال يعتبرونهم دعاة للرومان المتعصبين في الكنيسة.[3]

اهتم الوندال بالجانب الاقتصادي فإلى جانب القرصنة و اللوصوصية التي استعملها خاصة الملك جنسريق لإثراء خزينة الدولة. إضافة إلى هدف سياسي، وهو صرف أنظار المتمردين من السكان، وعلى هذه الأعمال، وتقسيم الغنائم معهم واهتم بالزراعة. فإن جنسريق افتك من أفراد الأرستقراطية الرومانية، سواء كانوا من النبلاء أو من رجال الدين، الأراضي الزراعية، وقسمها على النبلاء من الوندال. إلا أنه كانت هناك تجاوزات في حقوق السكان بحيث أن أصحاب الأرض (الملاكين الصغار)، من الأفارقة ظلوا يعملون في أملاكهم، ولكن تغيرت مكانتهم من مالكيين إلى عبيد. وفرض ضرائب ثقيلة على المغاربة الذين امتلكوا الأراضي الأقل خصوبة. ومن وحشية الوندال أنهم

[1]-محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص197.

[2]-محمد الصالح العود، المرجع السابق،ص54.

[3]-محمد محي الدين المشرفي، المرجع السابق، ص140.

حاربوا واضطهدوا رجال الدين المخالفين لهم في المذهب فإغلقوا الكنائس واستولوا على كنوزها من بين المذاهب التي اضطهدها الوندال المذهب الكاثوليكي"[1].

1- الوضع العام في مناطق النفوذ الوندالي:

اختار ملك الوندال من بين سكان إفريقيا أكثرهم وأعظمهم شأنا، فانتزع أملاكهم وكبلهم بسلاسل العبودية، ثم جرد الأفارقة من أخصب أراضيهم وأوسعها فوزعها على الوندال، وقد سميت هذه الأملاك باسم قطع الوندال، ولم يلبث الملاكون القدامى أن تدحرجوا إلى أحط درجات البؤس ولكنهم احتفظوا بحريتهم وأمكنهم أن يستقروا حيثما شاؤوا وأعفى جنسريق الوندال من الضرائب على الأراضي التي يملكونها وأبقى البلاد جميع الأراضي التي اعتبرها ضعيفة الانتاج ولكنه أثقل كاهلهم بالضرائب[2].

من الناحية الإدارية، احتفظ الوندال بنظام الرومان الإداري، وحتى بالموظفين الرومان الذين واصلوا مهامهم باسم الملك الوندالي. أما من الناحية العسكرية، فلم يكن لهم جيش دائم بل كانوا يتحولون إلى جنود في الأوقات الحرجة، كما استعانوا بالخبرة المغربية في الملاحة و السفن للعناية بأسطولهم. قصد فرض سيطرتهم على البحر المتوسط وجزره[3]

(انظر الملحق رقم 11) ص (108).

المطلب الثالث: المقاومة المغاربية وانبعاث الإمارات المستقلة:

قامت دولة الوندال، في شمال إفريقيا لفترة تناهز القرن، إلا أن هذا الاحتلال لبلاد إفريقيا كان جزائيا ناقصا، فالوندال قضوا على النفوذ الروماني بها ولكنهم لم يبسطوا نفوذهم بدله، غير أن التذمر العام انفجر في صورة مؤامرات متعددة. أما الاضطرابات الإفريقية العنيفة التي كانت تؤيد جنسريق، فقد عارضت توطيد سلطته، وظلت ثورات سكان شمال إفريقيا و الكاثوليك أتباع دوناتوس، تزعج وتهدد حكم الزعيم بصورة مستمرة. وفي قلب إقليم نوميديا

[1]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص240.

[2]-شاارل اندرريه جوليان، المرجع السابق،ص324.

[3]-محمد العيد يشي، المرجع السابق،ص196.

ظلت مدينة سرتا الداخلية محافظة على استقلالها بإصرار، وعناد، وتغلب جنسريق على هذه الصعاب شيئا فشيئا، بمثابرة، وقسوة، واستخدم فنون السلم مرة، وفنون الحرب مرة أخرى، للإقامة مملكته الإفريقية[1].

ومن فنون السلم و الحيل إبعاد العناصر المسلحة و المتمردين الإفريقيين، إلى القائمين بأعمال القرصنة و اللصوصية، فهي مفيدة وناجحة بالنسبة لجنسريق، مادامت الفرصة موجودة. ولكن بمجرد انتهاء تلك القرصنة الوندالية إنعكست الوضعية تماما فأنقلبوا بتمردهم في البلاد نفسها، تدفعهم تلك الغريزة الهمجية، وهذا ما حدث في عهد جنسريق 477م فظهرت الثورات و الفتن الداخلية، وفي ذلك الوقت أعلنت قبائل الأوراس استقلالها عن الوندال. ولم تكتف بذلك بل نزلت من الجبال إلى السهول المجاورة ودمرت وخربت بعض المدن الرومانية مثل تمقاد وباغاي. واستولت على الجهات الخصبة الكائنة غربي الأوراس و المتاخمة لمملكة الحضنة، وكانت قبائل الأوراس تخضع لملك اسمه يوميناس، والحكم الدكتاتوري كان النهاية الطبيعية التي انتهت إليها الفوضى. فظهرت القبيلة النوميدية القديمة الخاضعة لحكم أمير أو قائد. وحلت إفريقيا الليبية وتكونت عصابات الدوناتوس تحت نفوذ بعض ملوكهم[2].

ومن هنا قامت ثورات مغاربية عديدة تطالب بتحرير البلاد في الوقت الذي نشبت فيه خلافات بين الوندال أنفسهم على السلطة حيث كثرت الدسائس و المؤامرات ضد كل حاكم، لقد تبين للمغاربة أن الوندال مثل الرومان في القسوة و الوحشية و الاستغلال وشملت الثورة جميع المناطق من موريطانيا غربا إلى طرابلس شرقا ومن هذه الثورات و التمردات ثورة بنوميديا فقد ذكر بعض المؤرخين أن الموريين أستولوا على موريطانيا حيث نهبوا وقتلوا الكاثوليك و الوندال معا، من دون تميز كما ظهر خطر زحف رجال الجمالة المنحدرين من طرابلس يقودهم أمير يدعى كاباوون.[3]

وكان في سدة حكم دولة الوندال أنداك جلداريق الذي قتل الأمير كاباوون، ثم انتصر الأمير أنطلاس بن عفان على جيوش الوندال وألحق بهم خسائر جسيمة، وقد كانت جيوش هذا الملك من قبائل الفراشيش وهي قبائل جبلية وأنظمت اليهم قبائل لوات وهي قبائل جمالة معروفة بطرابلس، وهذه التمردات و الثورات الناجحة التي أهكت الدولة الوندالية كانت أغلبها حرب عصابات أو عن طريق الجمال ويقول بروكوبيوس بأن الجيش الوندالي لا يحسن حرب المشاة و القتال على الأقدام بل كان الونداليون فرسان خيل سلاحهم السيف و الرمح، وإن منهم من لا يعرف

[1]-محمد محيي الدين المشرفي، المرجع السابق ص143.

[2]-محمد العيد بيشي، المرجع السابق،ص197.

[3]-محمد الصالح العود، المرجع السابق،ص55.

كيف تكون الحماسة فوق ظهور الجمال وقد حاولوا الهجوم مرات ولكن أفراسهم كانت تخاف من منظر الجمال ومن رغائها فتعود على أعباقها. وقد نجحت هذه الثورات بفضل الامدادات التي وفرتها القبائل الصحراوية كالجمال.

ومن نتائج هذه الثورات:

1-انحصار النفوذ الوندالي في المناطق الساحلية.

2-تأسيس ممالك مستقلة: مملكة الأوراس، مملكة الحضنة، مملكة الطاوة، مملكة الجدار مملكة هوارة ولواته.

3-سقوط الدولة الوندالية سنة 543م بعد قرن من الاحتلال[1].

1- أسباب سقوط الدولة الوندالية:

كانت تركيبة المجتمع في شمال إفريقيا في عهد الوندال، ما بين (430-534م) مكون من خليط من الشعوب. منها السكان الأصليين، وهم الطبقة الغالبة على المجتمع و المستوطنين من الرومان، والوندال ومن انتقل معهم من القوط. إلا أن هذه التركيبة كانت غير متماسكة تحول بينها عدة عوامل كالعصبية، والدين واختلاف طباع المجتمع ومزاجهم وهو، مانتج عنه الكثير من الخلافات فالحضارة الرومانية لم تؤثر إلا على قلة قليلة جدا، من المغاربة، ونفس هذا الأمر استمر في عهد الوندال فقد قضي الوندال فترة احتلالهم لشمال إفريقيا في سلسلة من الحروب و الثورات مع المحليين[2].

كما نجد أيضا حالة توتر بين الوندال المتعصبين للمذهب الأريوسي، فأدى بهم ذلك إلى ممارسة سياسة البطش على الكاثوليك و العناصر الرومانية و الليبية المناؤنة للأريوسية[3]،فشكلوا كتلة معادية ومعارضة للمحتلين. ومن

[1]-محمد العيد بشي، المجع السابق،ص197.

[2]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص 140.

[3]-الأريوسية: نحلة جديدة ظهرت في الاسكندرية وكانت مرتبطة بطبيعة المسيح . فالمعروف أن الكنيسة المسيحة منذ نشأتها تعتقد بوجود ثلاثة أقانيم: الأب والابن والروح القدس، وأن هؤلاء الثلاثة ليسوا إلا واحدا في الجوهر غير أنه ظهر في الكنيسة من حين لآخر أناس يخالفون هذه العقيدة، فكانت الكنيسة الكاثوليكية، وهي كنيسة الدولة، تحكم عليها بالهرطقة وكان من جملة هؤلاء سابيلوس (القرن الميلادي الثالث) أسقف ليبيا الذي قال أن اللوجوس (الكلمة) هو المسيح وأنه مظهر من مظاهر اللاهوت شأنه في ذلك شأن الأب والروح و القدس، وكان منهم أيضا آريوس الذي كان على رأسه كنيسة صغيرة في الاسكندرية سنة 318م، وكان آنذاك شيخا معروفا بالتصوف متمتعا باحترام عدد كبير من الأتقياء و الصالحين. وكان آريوس قد تعلم في حداثة سنه في أنطاكية بسوريا المذهب العقلي الذي يقول إن " الكلمة التي اتحدت بالمسيح ليست من نفس جوهر الرب وإن المسيح ليس إلا مخلوقا جاء من العدم، لا من نفس المادة الإلهية، وأنه مر عليه وقت لم يكن موجودا، وأنه تبعا لذلك وبوصفه ابن الله لا يشارك الرب في شيء ولا يشبهه في شيء لأن الله ليس له شبيه. "كان آريوس بذلك يرمي إلي تأكيد وحدانية الله وقد فاته أنه إنما وضع المسيح في مرتبة ثانوية وجرده مما اتصف به من أنه منقد للعالم فمحا

العوامل العدة التي ساعدت على الاضطرابات الداخلية، ضعف الحكم و المملوك بعد جنسريق، وتدخل بعض الأمراء الوندال المتعصبين في الحكم و المعارضين لسياسة التسامح الديني مع الكاثوليك بل حتى سياسة التقارب الوندالي البيزنطي.

فأدى ببعض الفئات إلى الهجرة من شمال إفريقي إلى بيزنطة وخاصة رجال الدين الأرثوذوكس في المقاطعات الشرقية و الأرستقراطيين الرومان[1].

ومن الأسباب أيضا أن عند وصول جليمار gelmar إلى الحكم بعد قلبه للنظام في 530م على جلداريق الذي ألقى عليه القبض وأودعه السجن أدى ذلك إلى إن قسام الوندال أنفسهم وزاد سخطهم على الحاكم الجدير جيلمار[2] .

كما أن دولة الوندال كانت محاطة بعدة أعداء ومؤامرات في الخارج نتيجة تعاملها السيئ في كثير من الأحيان. كما رأينا استعمال سياسة التعصب الديني وأعتدائتها المتكررة على سواحل البحر الأبيض المتوسط و السفن التي تتجول به.واحتلال بعض المقاطعات و الجزر فنتج عنه خصومات مع الممالك الجرمانية الأخرى وقد عملت الديلوماسية البيزنطية بشتى الطرق إلى زيادة تأزم العلاقات بين الممالك الجرمانية الأخرى[3].ويمكن حصر أسباب سقوط الحكم الوندالي في شمال افريقيا فيما يلي:

-انبعاث ممالك محلية[4]

فكرة المسيحية الأساسية وهي فكرة الخلاص. واختلف آريوس عن سابيليوس في أن الأخير كان يعتقد بألوهية المسيح بينما كان آريوس يرى غير ذلك. وأدت دعوة آريوس هذه إلى انقسام كنيسة الاسكندرية بين مؤيد ومناهض، فانعقد بها سنة 320م مجمع شهده نحو مائة قسيس وأسفر عن اتخاذ قرار بحرمان آريوس وعزله كما أمر بغزل جماعة من القسيس و الشماسة الذين تمسكوا بآرائهم الأريوسية. إثر ذلك غادر أريوس مصر إلى فلسطين حيث راح يدعوا لمبدئه مما أدى إلى اتساع الخلاف حتى شمل جميع الكنائس المسيحية. وعند هذا الحد تدخل الامبراطور قسطنطين لتسوية النزاع فعقد مجمعا مسكونيا في نيقية سنة 320م انتهى بإدانة آريوس وسجنه وبتحديد العقيدة الأرثوذكسية باعتبار المسيح الابن من نفس مادة الأب أي أنه يستمد صفة الألوهية من الرب ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد فقد اضطر الامبراطور قسطنطين فيما بعد أن يفرج عن آريوس بل وبدا يميل إليه فانبعث النزاع الديني من جديد وكان محوره مسألة"كيف تجتمع في شخص المسيح الطبيعتان الالهية و البشرية. أنظر: عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، دار تامنغاست للنشر،ص341.

[1]-عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي ،د ط، دار تمنغاست للنشر ، الجزائر ، د س،ص341.

[2]-محمد مرسي الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994،ص46.

[3]-محمد العيد بشي، المرجع السابق،ص197.

[4]-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق،ص245.

-الصراع على السلطة بين أفراد العائلة الملكية الوندالية

-انغماس الحكام في حياة اللهو و الترف

-اعتبار بيزنطة الوريث الشرعي للدولة الرومانية في بلاد المغرب.[1]

-يلاحظ أنه لم يكن للوندال أثر حضاري يذكر بل العكس حطموا الكثير من أثار ممن سبقوهم.

[1]-محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق،ص45.

الخاتمة

الخاتمة :

سلطت هذه الدراسة الضوء على أحداث النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي و بداية القرن الخامس والتي أدت الى نهاية الاحتلال الروماني ببلاد المغرب القديم سنة (429 م) ، بالتطرق الى تداعياتها و انعكاساتها على الطرفين ، و قد مكنتنا من التوصل الى جملة من الاستنتاجات التي نلخصها فيما يلي :

ما إن تتوفر منطقة أو بلاد ما على موقع جغرافي و استراتيجي و كذا على موارد و خيرات طبيعية ، تصبح محل أطماع قوى البلدان المجاورة ، و هذا ما حدث تحديدا مع بلاد المغرب القديم والدليل على ذلك هو الصراع القرطاجي الروماني ، و الذي انتهى بتدمير قرطاجة سنة (146ق.م) و تثبيت دعائم الامبراطورية الرومانية لقرابة ستة قرون ، و من ثم الاحتلال الوندالي الذي أنهى الوجود الروماني سنة (429 م) ودام مدة القرن من الزمن (429 م-534م)، كما تعرضت بلاد المغرب القديم الى احتلال اخر ألا و هو الاحتلال البيزنطي من (534م-646م).

– كان اهتمام الرومان بأراضي المغرب القديم قد بدأ قبل تدمير قرطاجة سنة (146 ق.م)،غير أن زوال قرطاجة و احتلالها من طرف الرومان جعل العملية تتسارع ، وذلك بعد أن تمكنوا من وضع أقدامهم في المنطقة ، ومن ثمة التفكير في السيطرة على السواحل الجنوبية للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

–تجدر الاشارة الى أن الصراع الدائر حول العرش النوميدي ، بعد وفاة الملك غايا ، كان عاملا هاما و جدت فيه روما و ساستها العسكريين منفذا لحبك المؤامرات و اختلاق الدسائس و الذرائع للتدخل في الوقت المناسب ، من أجل تحقيق أهداف استعمارية مبيتة .

–من جهة أخرى يلاحظ أن الأوضاع في بلاد المغرب زادت تدهورا أثناء قيام النظام الإمبراطوري على يد أكتافيوس ،و ذلك بدمج الولاية الافريقية القديمة مع الجديدة و انشائه لمقاطعة افريقيا البروقنصلية ، التي أخضعها لسلطته عن طريق انشائه لجيش رهيب مهمته الاشراف على عملية التوسع العسكري و حماية ما أمكن الاستيلاء عليه في بلاد المغرب القديم.

–شهدت الامبراطورية الرومانية مع بداية القرن الثالث بعض التغييرات خاصة على المستوى السياسي، عرفت بأزمة القرن الثالث أو ما يعرف بالفوضى العسكرية بحيث دخلت الامبراطورية في فترة ضعف و تراجع ، وقد كانت لها انعكاسات شملت الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية ، بعد أن تزايدت حدة الفقر التي طالت فئات كبيرة من

الشعب ، و استمر الوضع على ما هو عليه الى غاية تولي دقلديانوس الحكم سنة(284م) ومن جاء من الأباطرة بعده حيث عرفت روما منعرجا سياسيا اتسم بالإصلاح الى حد ما مس جميع المجالات وشمل جميع المقاطعات ،اذ تعتبر أزمة القرن الثالث سببا أساسيا في انهيار الامبراطورية الرومانية.

–شهدت التطورات العسكرية للأزمة في نوميديا و موريطانيا القيصرية ، المتمثلة أساسا في مقاومة السكان المحليين كرد فعل ضد سياسة التوسع الروماني في بلاد المغرب القديم ، المقاومة التي اختلفت من تمردات الى انتفاضات و ثورات بالطريقة المحلية ، دفعت بالسلطة الرومانية لمراجعة استراتيجيتها العسكرية ، حيث أجبرت على التراجع العسكري و التخلي عن الكثير من المجالات الحيوية لأهلها الأصليين ، اذ لجأت الى اعادة تمركز الكثير من الفرق و الكتائب ، لتتوزع في مناطق كانت لوقت قريب جد مؤمنة ، كما عرف خط الليمس انكماشا نحو الشمال الشرقي ،هذه التطورات ترجمت تقهقر السيطرة الرومانية أ مام المقاومة المحلية التي ترجمت وعيا تحرريا.

–تعتبر أحداث النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي المتمثلة في ثورة الدوارين الريفيين ، ثورة جيلدون وأخيه فيرموس و التفافهم حول الحركة الدوناتية محطة حاسمة في تاريخ بلاد المغرب القديم ، اذ تعتبر القشة التي قصمت ظهر البعير ، ذلك من خلال الأثر الذي تركته في تاريخ مقاومات الاحتلال الروماني ، و التي كان لها انعكاسات تباينت بين الايجابية و السلبية على الطرفين.

–تعتبر انعكاسات أحداث النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ايجابية الى حد بعيد على سكان بلاد المغرب ، و يتجلى ذلك في استقرار الأوضاع الاجتماعية بحيث عرفت نموا ديمغرافيا في المدن و الأرياف فبرزت عدة هجرات عكسية بين الشمال و الجنوب و المدينة و الريف وعودة السكان المحليين لمواطنهم الأصلية و استغلالهم لأراضيهم ما دفع بعجلة النمو الاقتصادي لتحرر أكثر في جميع جوانبه الزراعة ، الصناعة و التجارة.

–ساهمت الديانة المسيحة عامة و الحركة الدوناتية خاصة في نمو الوعي القومي التحرري لسكان بلاد المغرب القديم و ذلك من خلال الالتفاف حولها ، هؤلاء السكان الذين اعتبروها ملجأ للتعبير عن وجهة رأيهم اتجاه السلطة العسكرية الرومانية و كذا كرد فعل معادي لسياسة القادة الرومان القمعية .

–أمام هذه الظروف كانت الفرصة سانحة بعدما علم سكان بلاد المغرب القديم بتحركات الوندال في الجهة الشمالية للبحر المتوسط و رغبتهم في اجتياح شمال افريقيا و ازاحة بقايا الامبراطورية الرومانية ، لهذا كانت عملية

الاستنجاد بهم من أجل ضرب الوجود الروماني في بلاد المغرب و القضاء على عملية الاستغلال التي عانى منها الفرد المغاربي لمدة طويلة.

–لقد تمكن الوندال من اكتساح الشمال الافريقي بسهولة كبيرة مكنتهم من ضرب القوة العسكرية الرومانية و الانتصار عليها في أهم مستعمراتها ، و يمكننا أن نستشف من خلال هذا الاجتياح أن الوندال كانت لهم أهداف ألا و هي الامكانيات الاقتصادية الهامة لبلاد المغرب القديم التي أسالت لعاب هؤلاء المغامرين ، غير أنه لم يمض وقت طويل عن وجودهم في بلاد المغرب القديم حتى اكتشف المغاربة بأن هؤلاء الغزاة لا يختلفون عن الرومان الذين سبقوهم ، فاتجهت العلاقة بين الطرفين – السكان المحليين و الوندال – الى التدهور فظهرت الصراعات التي تجلت في كثير من الكيانات السياسية المحلية التي انقلبت عليهم و قاومتهم مكبدة اياهم هزائم في عدة معارك و خسائر كبيرة في شتى المجالات ، فأضعفتهم من جهة و سهلت مهمة الجيش البيزنطي للقضاء على تواجدهم في المنطقة من جهة .

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا :

المصادر باللغة العربية :

1-ابن خلدون، تاريخ العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مج2، دار الكتاب اللبناني،1966.

2-سالوست،الحرب اليوغرطية ،(ب،ط) ،تر محمد المبروك الدويب ،منشورات جامعة بنغازي،ليبيا،2004.

هونتيسيكو، تأملات في تاريخ الرومان-أسباب النهوض و الانحطاط ،تر: عبد الله العرو، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط1،2011.

3-هيرودوت، تواريخ ، ك4، تر: عبد الإله الملاح، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 2001.

المصادر باللغة الأجنبية :

1- Augustin Saint , Résumé d'une conférence avec les Donatistes, Oeuvres complètes de Saint Augustin traduites pour la première fois en français, sous la direction de M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869.

2- Hérodote, Histoire, trad. par Larcher, charpentier libraire-éditeur, paris, 1850, II.32.

3- Lampridius (Aelius), Alexandre Sévère, 58.3. Dans l'histoire Auguste, trad. M. Nisard, Éd.Firmin didot, Paris, 1855.

4- Tertullien. Apologétique.trad.par j.p.waltzig.2eme édit. Librairie bloud et gay.paris.1914.1

المراجع باللغة العربية :

1-أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي للمدن الثلاثة، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع،بغازي،ط1،ن1993.

2-أحمد حسن السلماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر،ط2، الجزائر،2017.

3-رجب سلامة عمران، الفكر العسكري بي الدفاع و الهجوم و التوسع و الاستعمار حتى نهاية العصر الجمهوري، مكتبة الثقافة للنشر، القاهرة ، ط1، 2010.

4-سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري، دار النهضة العربية ،القاهرة ،ط 2، 1991.

5-عبد العليم مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الاهلية، بنغازي،1966.

6-عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، دار تامنغاست للنشر ، الجزائر ، د س.

7-عمار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146 ق.م -235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.

8-محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة)، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، ط 2، 1983.

9-محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر.

10-محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج1،الجزائر.

11-محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الامبراطورية ، كنوز الحكمة، الجزائر،ط1،2007 .

12-محمد الحبيب بشاري، روما وزراعة المقاطعات الافريقية (146 ق.م-285م)،دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر،ط1، 2015.

13-محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية و الحضارة البونية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر،ط1، 2006.

14-محمد العيد بشي، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديم،(دراسة حضارية في ما قبل التاريخ)، (ب،ط)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1994.

15-محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي(ب،ط) ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر.

16-محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة،(د.ط)،دار هومة ، الجزائر،2011.

17-محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار الفيلة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1990.

18-محمد بيومي مهران، مصر و الشرق الادنى القديم (المغرب القديم)، دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية ،مصر ،1410 هـ ،1990م.

19-محمد مرسي الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994،ص46.

20-محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، ط04، لبنان.

21-محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، سوهاج، جنوب الوادي بمصر،1995.

22-مها محمد السيد، الحصون و التحصينات الدفاعية في شمال افريقيا في العصر الروماني، مصر، 2008.

المراجع المترجمة :

1-تشارلزورث، الامبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبده، مراجعة محمد صقر،مصر،1999.

2-ميخائيل روستوفتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاقتصادي و الاجتماعي، تر: زكي علي و محمد سليم سالم، ج1،دار النهضة العربية، القاهرة،1957 .

3-شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة،ج1، تونس، 1985.

المراجع باللغة الأجنبية

1-Bonifay Michel , Etude sur la céramique Romaine Tardive d'Afrique,éd.Bar international séries England , 2004.

2- Cagnat R « lannoned'afrique » in extrait des mémoires de l'académie des inscriptions et belles lettre t.xl.paris.1915.p6.

3- Camps Faber (H.), l'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Alger, 1953.pp 21-25.

4- CAMPS G..Les Bavares, peuple de Maurétanie Césarienne, Rev. Afr, 1955.

5- Despois (J.), l'Afrique du nord, 3eme Ed, Paris, P.U.F. 1964..p07.

6- Ferzouls (E.), «la résistance armée en Maurétanie Césarienne de l'annexion à l'époque Sévérienne: un essai d'appréciation » C.I., T29 (1981).

7- Hélène Ménard, Discours de la violence, violence du discours : réalités et stéréotypes dans la Passion de sainte Salsa de Tipasa,2013, https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00807045,p,09.

8- J.DESANGES, Pline Lancien Histoire Naturelle , PARIS,1980 ,XV-XX.

9- Lassére(J.M), Vbique Populus, peuplement et Mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap), éd. CNRS – 2011.

10- Leveau (P.)," une ville et ses compagnes, l'exemple de caesarea de Mauritanie, actes du colloque `` villes et et compagnes dans l'empire romain `` organisé à Aix – en – Provence les 16 – 17 mai 1980 – éd. YE.R.H 1982.

11- Leveau Ph .,« Un nouveau témoignage sur la résistance maure en Maurétanie Césarienne centrale »,dans AA, t. 8, 1974.

12- Leveau Ph .« Paysans maures et villes romaines en Maurétanie Césarienne centrale (la Résistancedes populations indigènes à la romanisation dans l'arrière-pays de Caesarea de Maurétanie) »,.dans MEFRA, 1975.

13- Marcel Neusch, La création comme habitat de l'homme, Saint Augustin et la société de temps itinéraires augustiniens.

14- Marcel.S. la civilisation de lantiquité et le christianisme.arthaud.france.1972.

15- Martroye f. « une tentative de révolution sociale en Afriques. Donatistes et circoncellions ».dans revue des questions historiques 76.1904.

16- Mesnagep.j.le christianisme en afrique. Origines développements.paris.1914

17- Modéran Yves , Gildon, les Maures et l'Afrique, Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité T. 101, N°2. 1989.

18- Monceaux (P.), « L'église donatiste aux temps de S. Augustin », R. d'Histoire des Rolli, 61, 1910.

19- Monceaux. P .Histoire littéraire de l'afrique chrétienne.T.I. culture et civilisation.paris.1963.

20- Painter .H. A history of the middle ages 248-1500. London.1971.

21-Picard .G .Les religions de l'afrique antique .paris1954

المذكرات:

1-اللافى سالم ناصر، إصلاحات الإمبراطور(دقليديانوس)وأثرها السلبية و الايجابية على الإمبراطورية الرومانية 284 م 305 م، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة المرقب -ترهونة، ليبيا ،2008.

2-صندوق ستي ،دراسة تنميطية للمصابيح المحفوضة بالمتحف الوطني أحمد زبانا لمدينة وهران، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران 2007.

3-زواوي الصديق، سياسة التدرج الروماني في احتلال بلاد المغرب القديم (146 ق.م- 430م)، مذكرة ماستر في التاريخ العام، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1954، قالمة، 2015-2016.

4-ذهيبة سي الهادي، الممالك النوميدية بين قرطاجة و روما، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2012-2013.

5-بشير إبراهيم محمد العيد و آخرون، حنبعل و الحرب البونية (218-201 ق.م)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2012،2-2013.

6-كابلي فاطمة، الخلفيات الاقتصادية للاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم و أثرها على المجتمع، مذكرة في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010-2011.

7-شعبان علي أحمد، السياسة الخارجية لمملكتي نوميديا و موريطانيا في عهد الممالك (من القرن الثالث قبل لميلاد إلى 40م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009-2010.

8-محمد الحبيب بشاري، دور المقاطعات الإفريقية ي اقتصاد روما، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2006-2007.

9-ريمة مليزي، قرطاجة و البحر، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2010-2011.

10-حمادوش بولخراص، سياسة يوليوس قيصر و انعكاساتها على نوميديا (49 ق.م - 44ق.م) مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2013-2014.
11-يسينة بوزكري، حركة الاستيطان الروماني في موريطانيا القيصرية خلال العهد الامبراطوري الأول، مذكرة في ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2012-2013.

12-رمضان تسعديت : "الإصلاحات السيفرية في بلاد المغرب القديم (193-235م).

13-ريمة مليزي، المبادلات التجارية القرطاجية في العصور القديمة، جامعة المسيلة، دت.

14-جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2008.
15-العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429م-534م، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة،2010.
16-عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، النشأة والتطور180 430 م، أطروحة دكتورة-جامعة قسنطينة.
17-عيبش يوسف، الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لبلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال البيزنطي ، أطروحة دكتورة، جامعة منتوري ،قسنطينة ،2007 .
18-محمد قاسم، الوضعية الاجتماعية و الديمغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42 م إلى سنة 284م ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة وهران 01، الجزائر 2015.

الملتقيات و البحوث:

1-عيواج زهية، الحركة الدوناتية في المغرب القديم ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني، أعمال ملتقى وطني، المتحف الوطني العمومي، سطيف، 11 و12 ديسمبر2012.
2-محمد البشير شنيتي، الجزائر في ضل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري،(الليمس الموريتاني)و مقاومة المور، ج(1-2)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999.
3-عبد القادر شريف، الممالك البربرية وسياسة التحالف في مقاومة المستعمر الوندالي و البيزنطي (إقليم الأوراس أنموذجا)، أشغال الملتقى الوطني الرابع: الأوراس عبر التاريخ، منشورات المتحف الوطني العمومي ، خنشلة 2016.
4-خالد محفوظ ،" المقاومة الإفريقية ضد الاحتلال الروماني بين إشكالية الثورة و الانتفاضة أحداث القرن الثالث ميلادي نموذجا "، أعمال الملتقى الوطني الأول تحت عنوان " المقاومة الجزائرية عبر العصور ، إشراف قسم التاريخ و الآثار ، بالتنسيق مع المتحف العمومية الوطني ، سطيف.2012 .

المجلات:

1-فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك غايا الى بداية الاحتلال الروماني (213 -46 ق م) ،منشورات أبيك، الجزائر.

2-عثمان سعدي، الأب دونا،رجل الدين المسيحي المغاربي المناضل، حولية المجمع، المجمع اللغة العربية، طرابلس، العدد6، 2008.

3-العربي عقون، ماسينيسا من كفاحه لاستعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء نوميديا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع12، قسنطينة،2010.

4-عبد المجيد صالح المغربي، انحسار نفوذ قرطاجة في غرب البحر الأبيض المتوسط منذ أواخر القرن السادس ق.م، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والإجتماعية، ع6.

5-بن عبد المؤمن محمد، أهمية قمح بلاد المغرب القديم، مجلة الحضارة الاسلامية، ع29،وهران،2016.

6-أحمد أنديشة، الإمبراطورية الرومانية و القمح الإفريقي، مجلة البحوث الأكاديمية،د ت.

7-علي كسار غدر سلطان الغزالي، الأوضاع الاقتصادية لمدينة صبراته خلال العصرين الفنيقي و النوميدي و السيطرة الرومانية عليها، مجلة كلية التربية، ع 13 ، جامعة بابل العراق،2008.

8-محمد فوكه، مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني، مجلة عصور الجديدة،عدد 11-12 ، وهران، الجزائر، فبراير 2014.

9-محمد الحبيب بشاري، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني في القرن الرابع الميلادي، ثورة جيلدون 397-398، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع 13،.

10-محمد البشير شنيتي، الدوناتية وثورة الريفين خلال القرن الرابع، مجلة الأصالة، عدد 60 ،1978،.

الملاحق

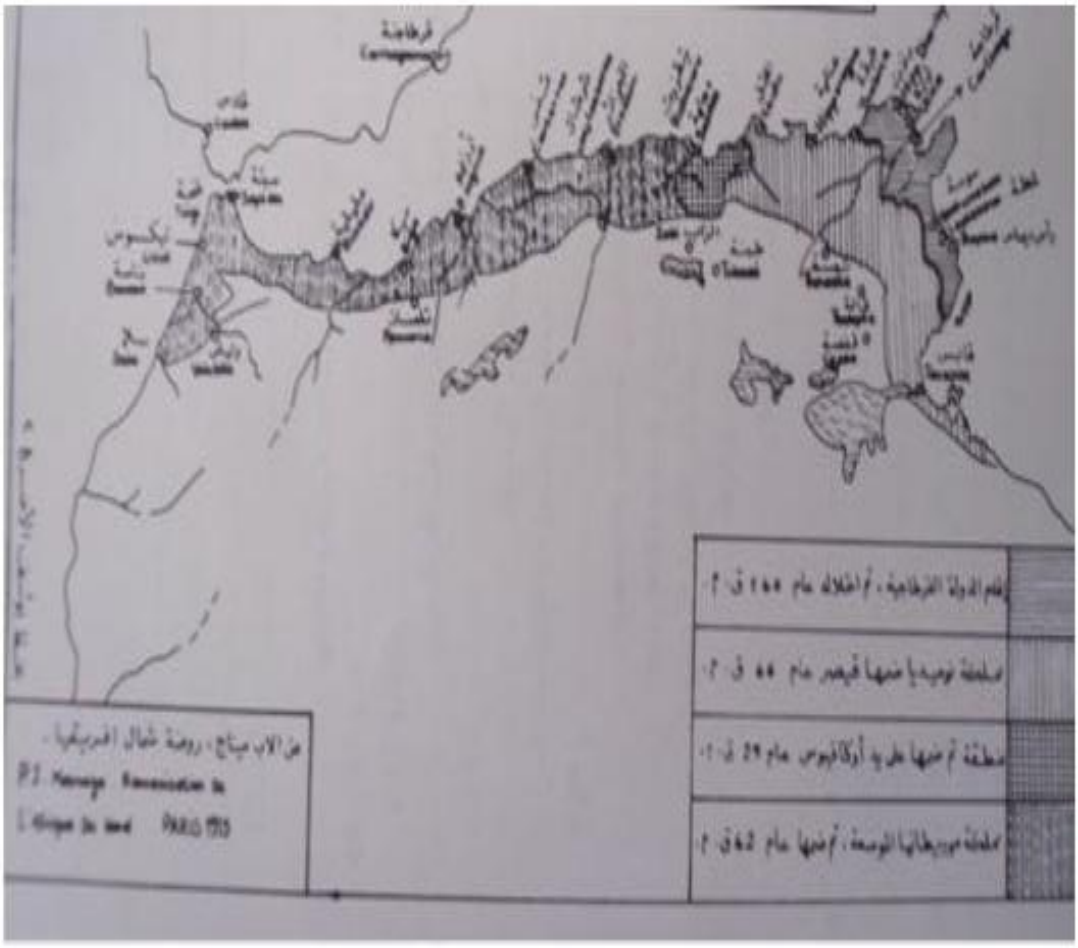

الملحق رقم (01): خريطة توضح حدود السيطرة الرومانية على بلاد المغرب القديم

محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم، مرجع سابق، ص85.

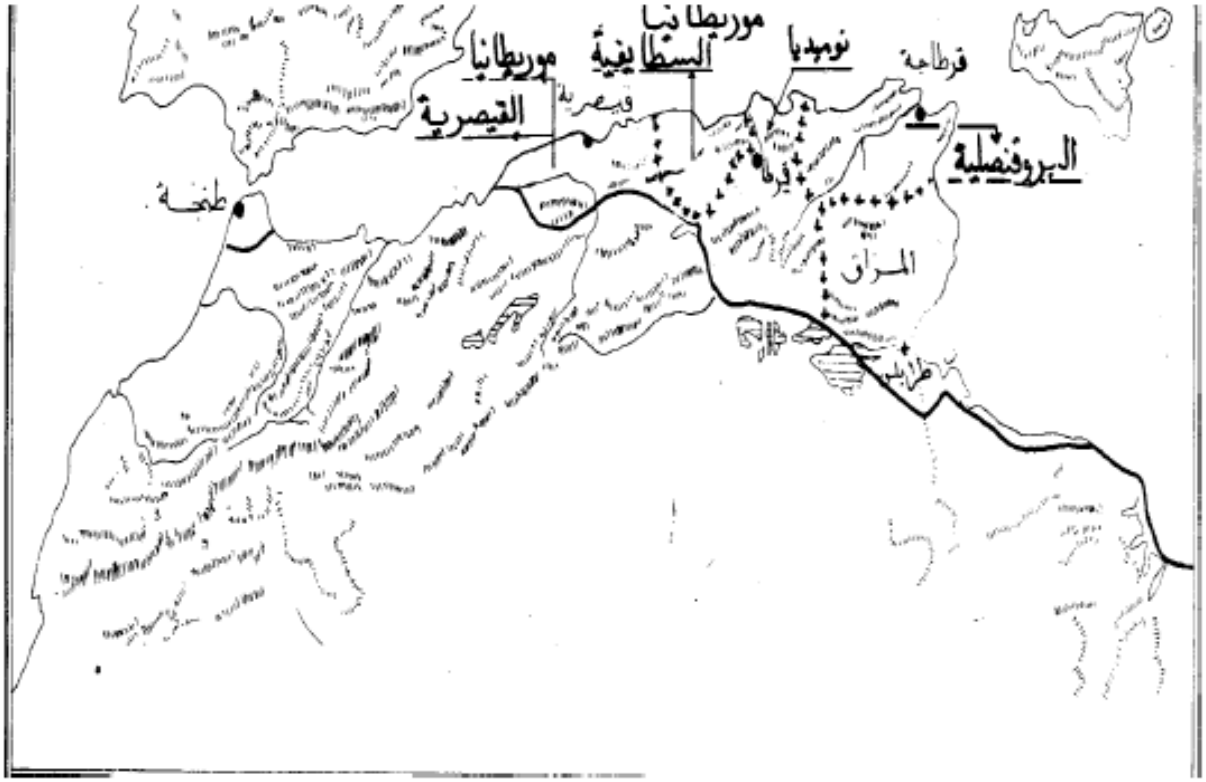

الملحق رقم (02): بلاد المغرب في ضل نظام البروقنصلية.

محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم ، المرجع السابق ، ص199

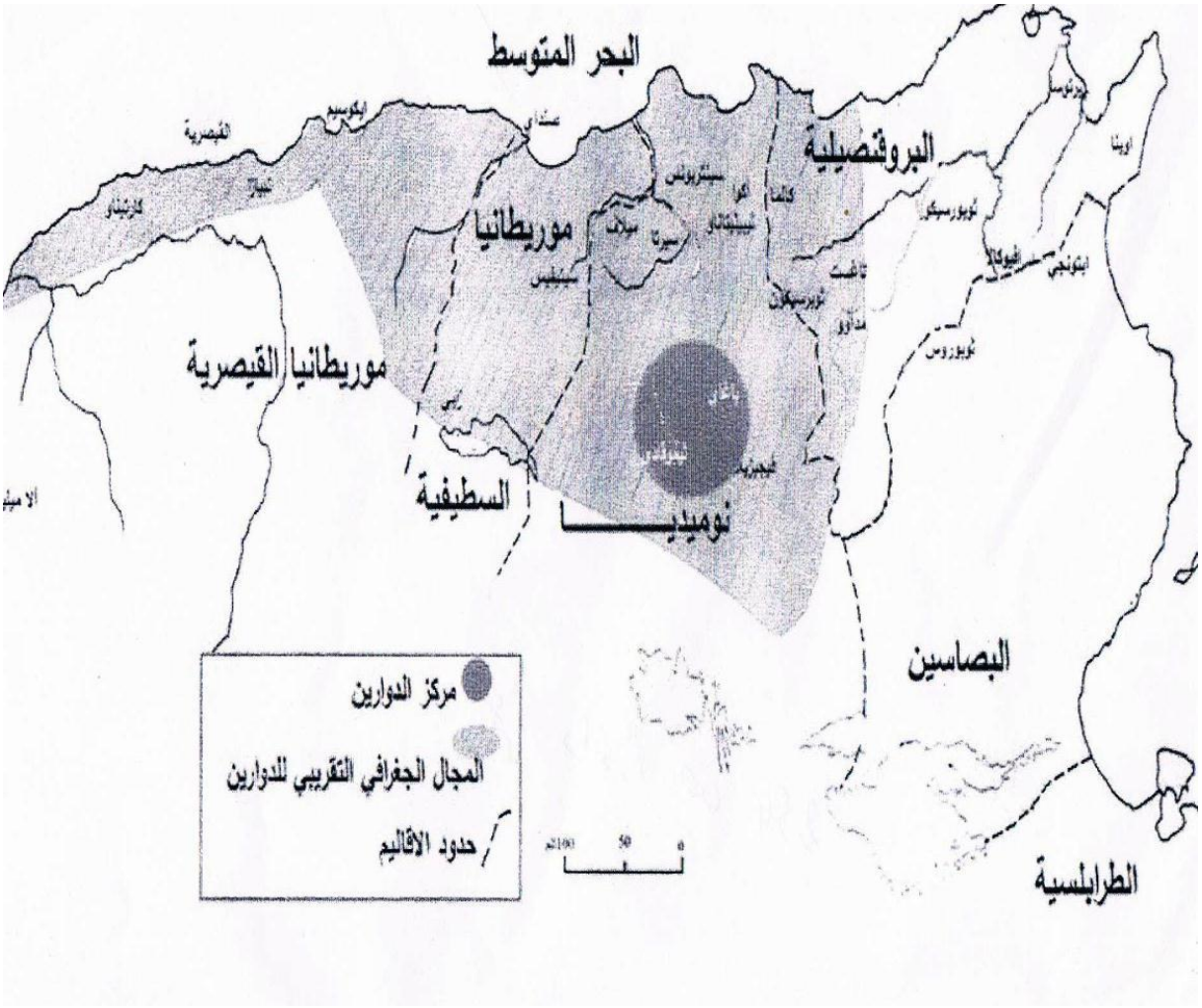

الملحق رقم (03) : خريطة تبين مناطق تواجد نشاط الدواورون.

المصدر : عمران عبد الحميد، المرجع السابق،ص، 254.

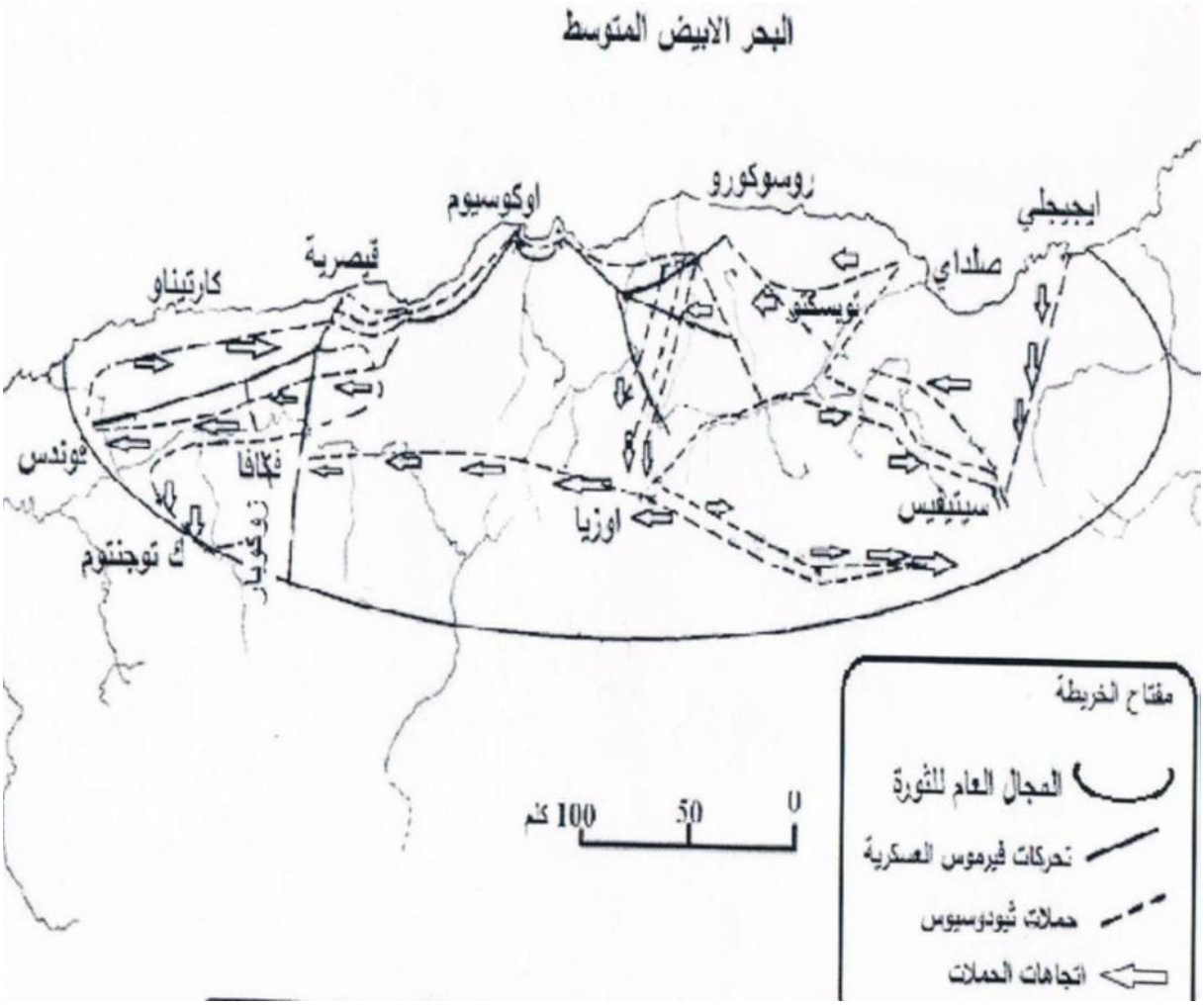

الملحق رقم (04):خريطة تبين نطاق انتشار ثورة فيرموس.

المصدر : عمران عبد الحميد، المرجع السابق،ص، 273.

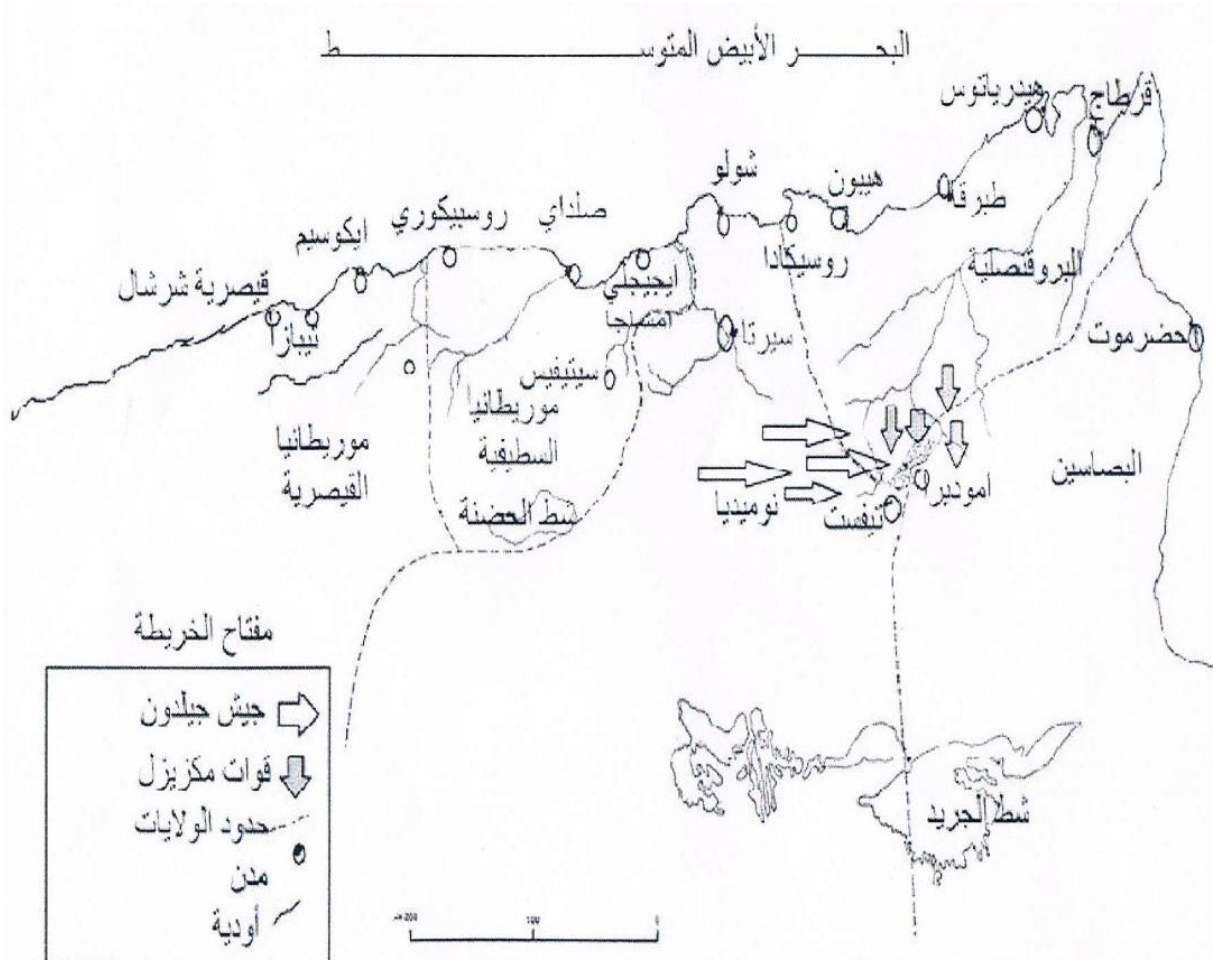

الملحق رقم (05) : تحركات ونطاق انتشار ثورة جيلدون.

المصدر : عمران عبد الحميد، المرجع السابق،ص، 283.

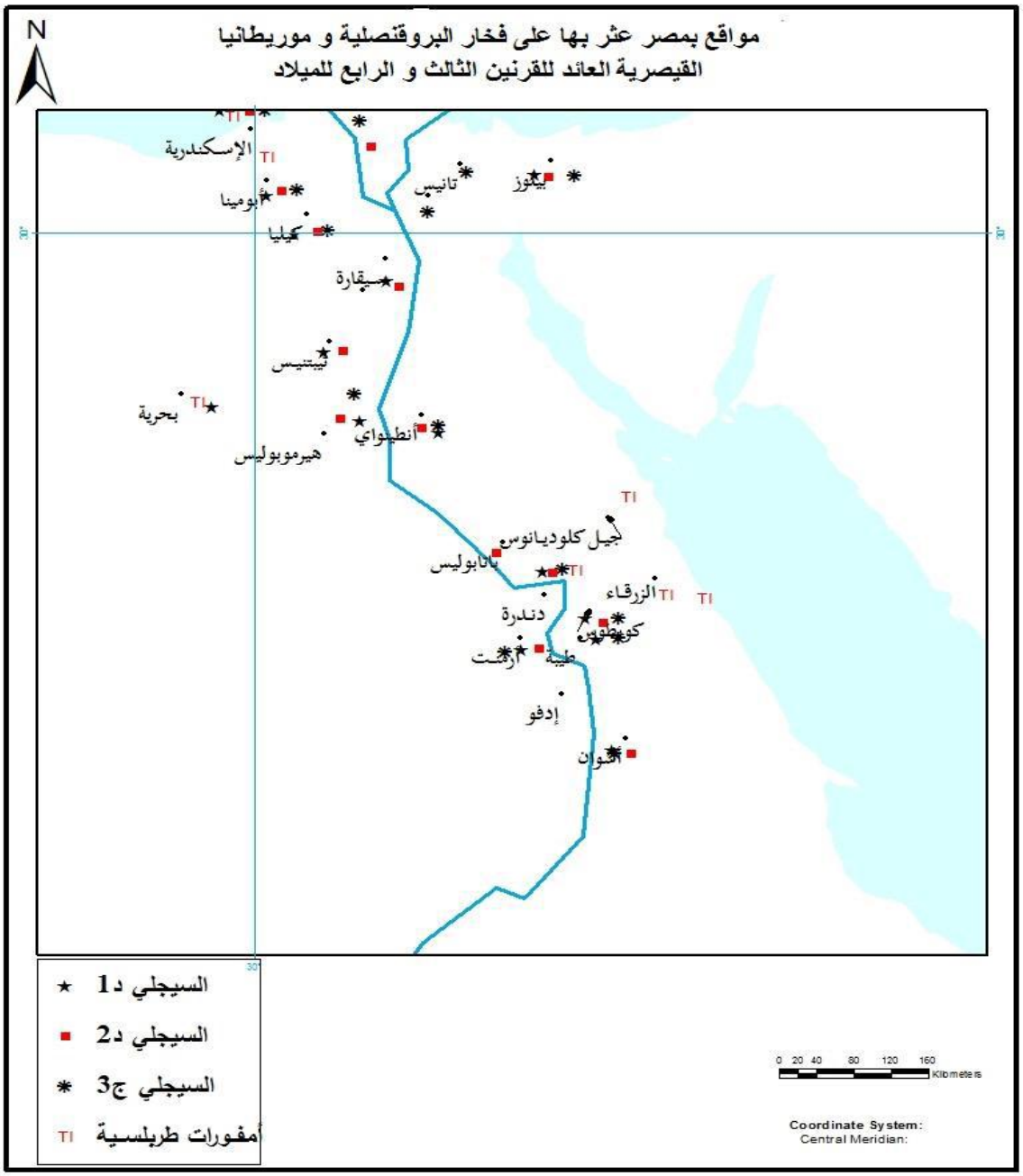

الملحق رقم 06: مواقع بمصر عثر بها علي فخار البروقنصلية وموريطانيا القيصرية العائد للقرنين الثالث والرابع للميلاد

المصدر: Bonifay (M.), Etude sur la ceramique..., P-455

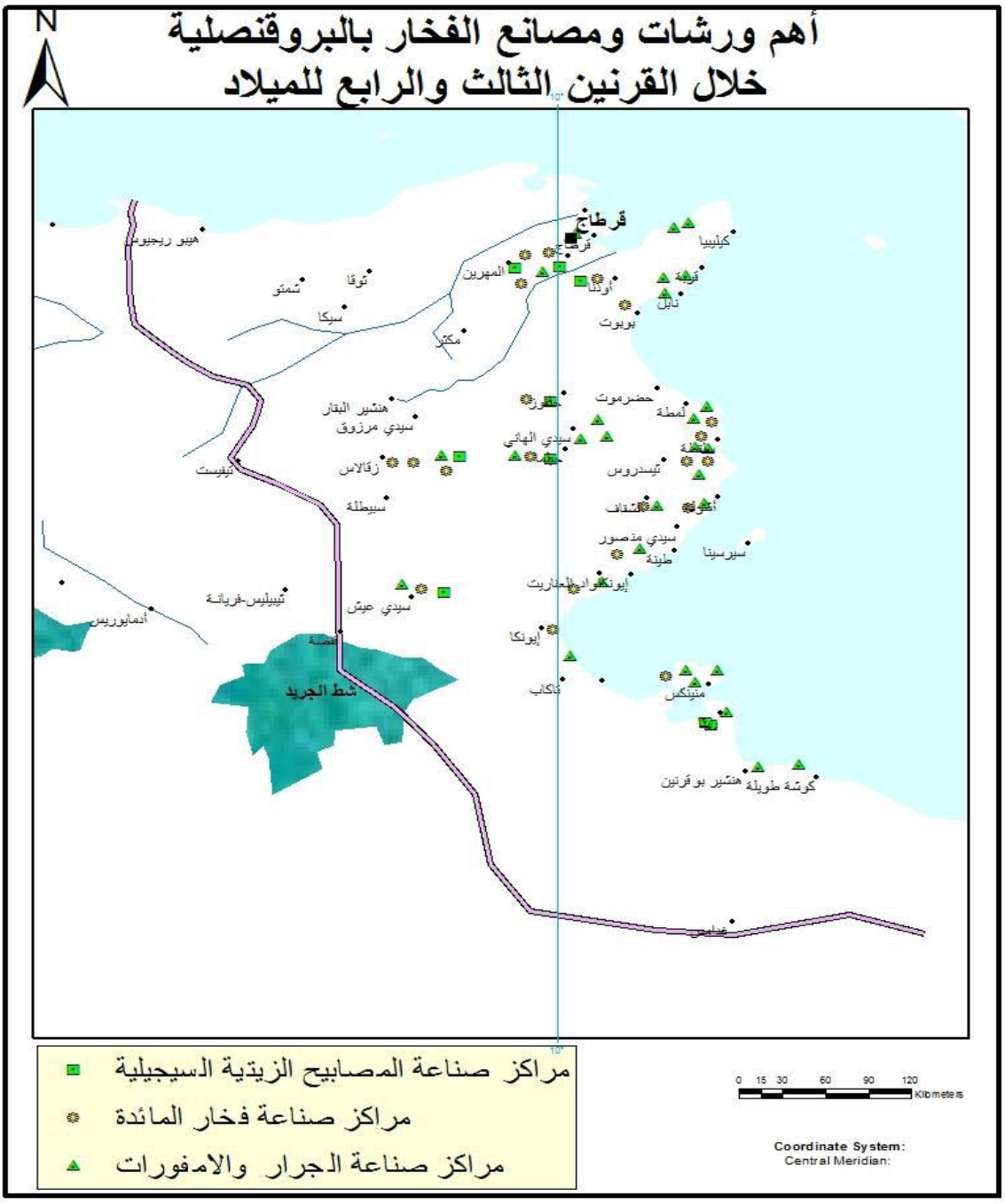

الملحق رقم 07: أهم ورشات ومصانع الفخار بالبروقنصلية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد

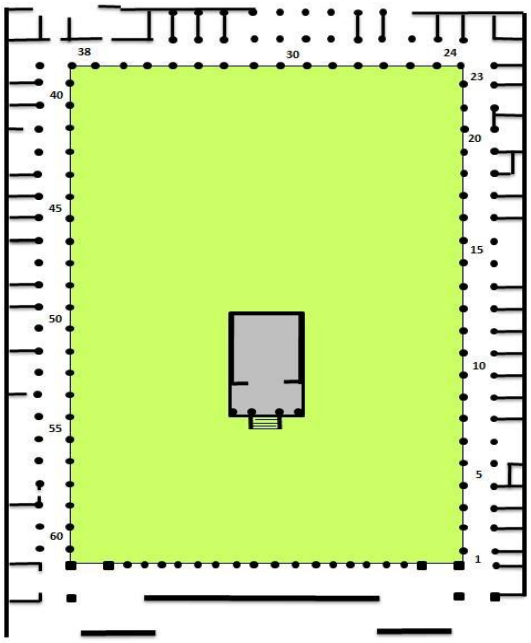

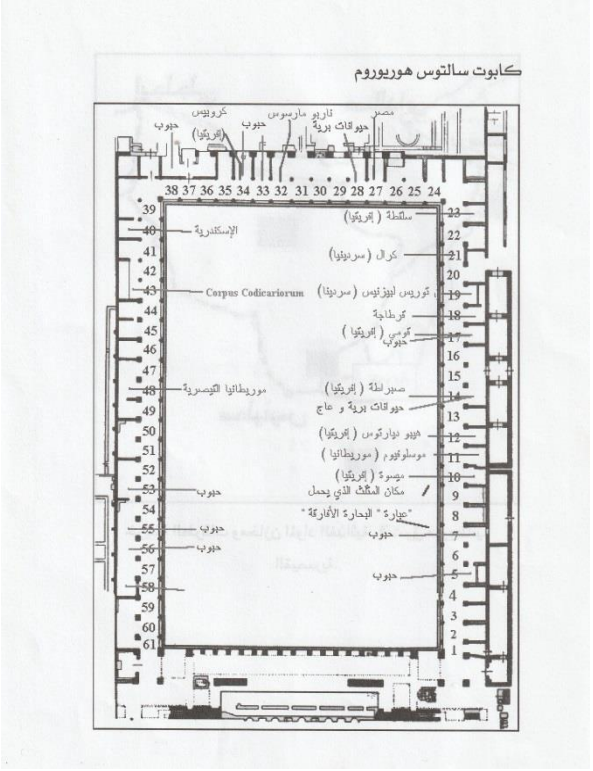

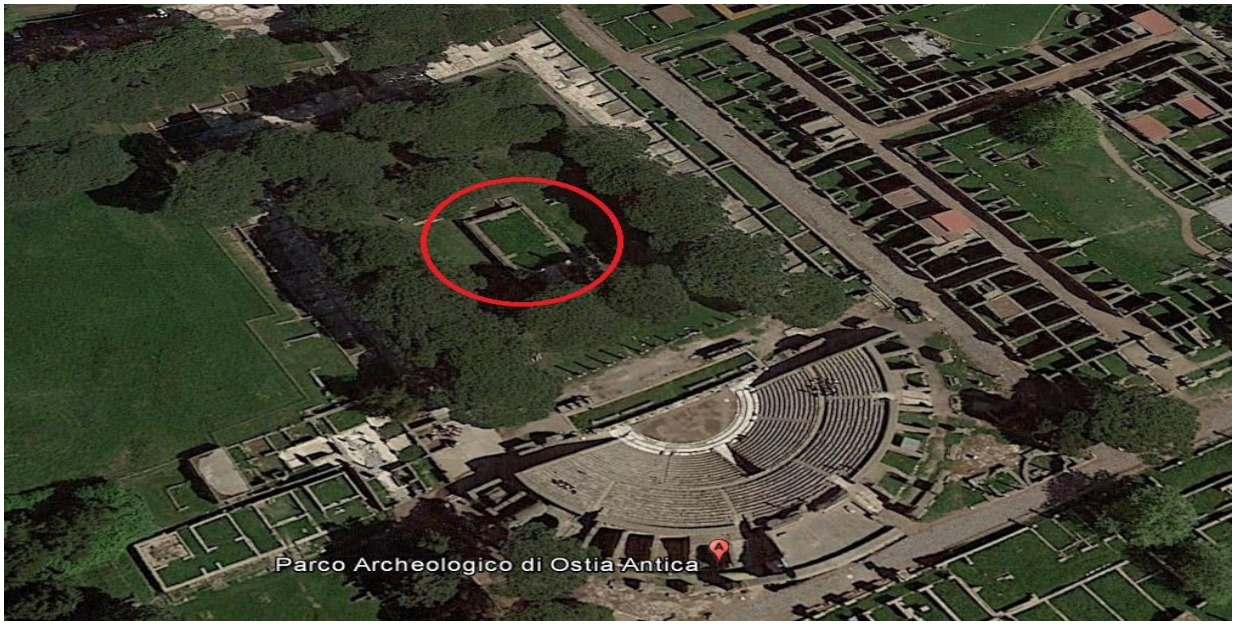

الملحق رقم 08: مخطط مبنى ساحة الاتحادات الحرفية و المهنية بالمدينة الميناء أوستي

.المصدر: بشاري محمد الحبيب، موانئ شرق موريطانيا القيصرية...، (2009) ، ص33

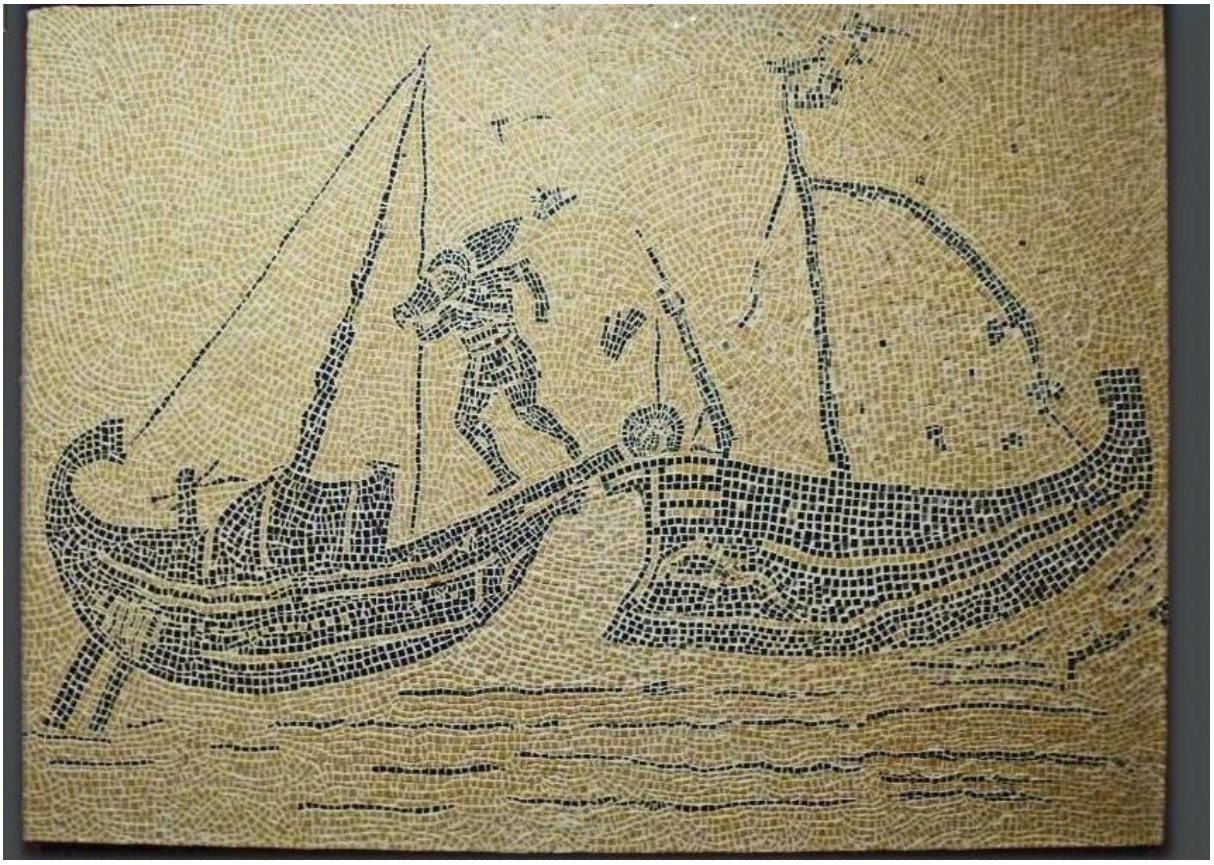

الملحق رقم 09: فسيفساء موجودة في أرضية ساحة الإتحادات المهنية بأوستي و المشهد يظهر عملية إعادة شحن أمفورات من سفينة بحرية إلى قارب صغير قد يكون نهري.

المصدر: www.ostia-ostie.net

الملحق رقم 10: أهم الهجرات و مساراتها في نوميديا و موريطانيا القيصرية خلال القرن الثالث.

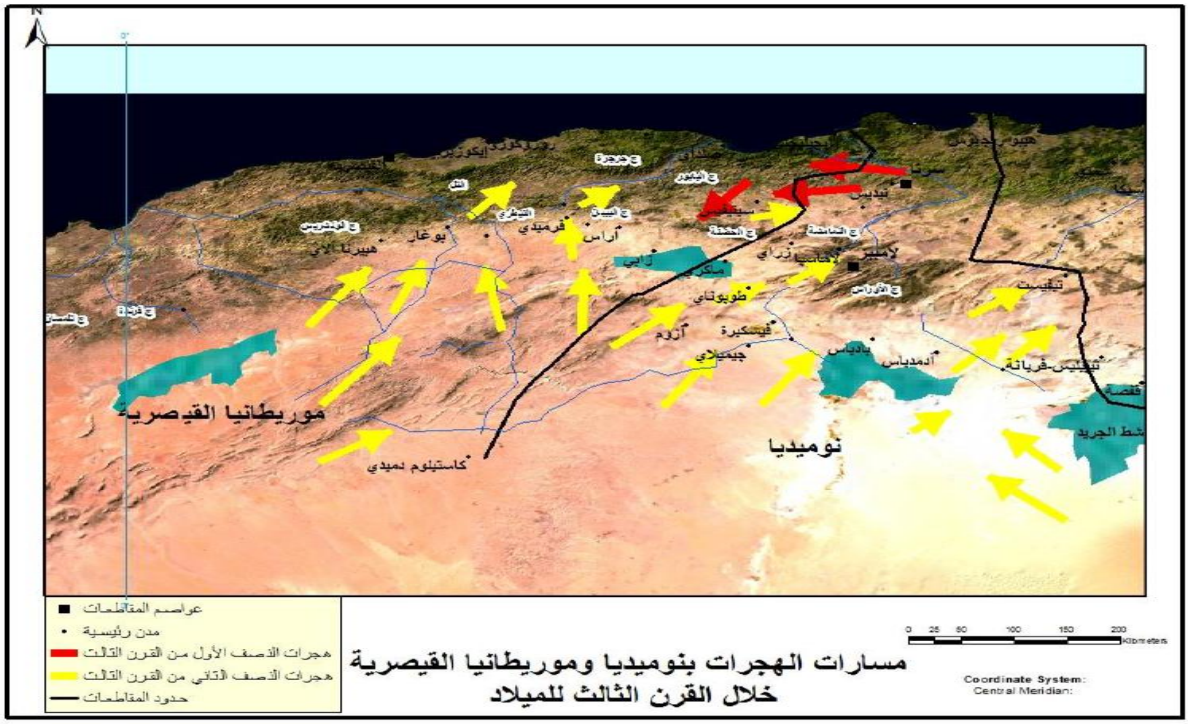

الملحق رقم 11: مسار الهجرات بنوميديا و موريطانيا القيصرية خلال القرن الثالث للميلاد.

المصدر: محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق، ص243.

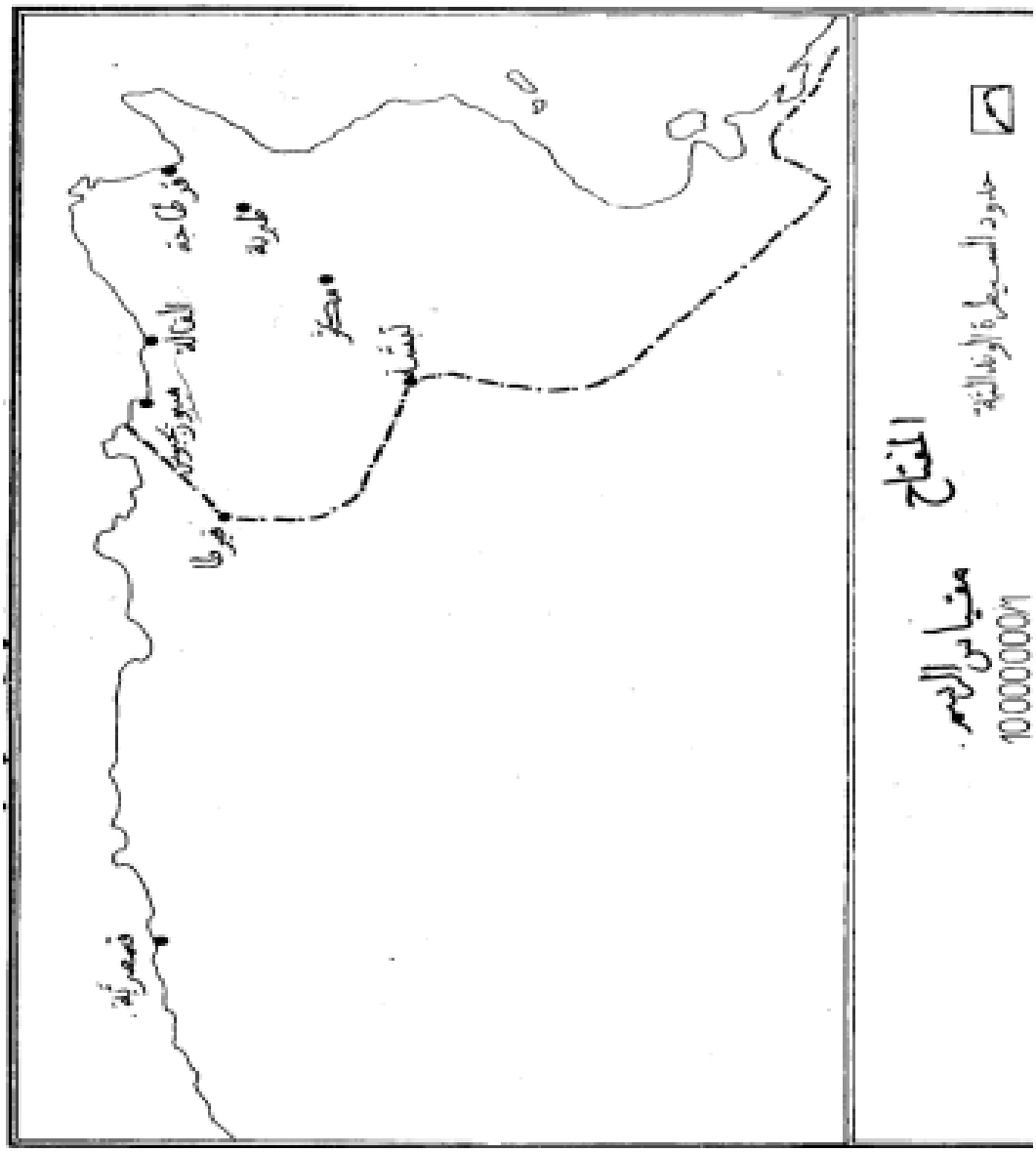

الملحق رقم 12: حدود السيطرة الوندالية

المصدر: **محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق، ص243**

فهرس المحتويات:

شكر	
مقدمة	أ
الفصل الأول الرومان و تطلعاتهم في بلاد المغرب القديم (146 ق م الى 429 ق م)	
المبحث الأول: دوافع الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم	06
المطلب الأول: دوافع سياسية عسكرية	06
المطلب الثاني: دوافع اقتصادية	11
المطلب الثالث: دوافع اجتماعية	17
المبحث الثاني: مراحل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم	21
المطلب الأول: بلاد المغرب مقاطعة رومانية	21
المطلب الثاني: بلاد المغرب في ظل نظام البروقنصلية	25
الفصل الثاني: بوادر انحطاط الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم	
المبحث الأول: أسباب انحطاط الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم	30
المطلب الأول أسباب سياسية عسكرية	30
المطلب الثاني: أسباب اقتصادية	34
المطلب الثالث: أسباب اجتماعية	40
المبحث الثاني: مقاومات سكان بلاد المغرب التي أنهت الاحتلال الروماني	45
المطلب الأول: ثورة الدوارين الريفيين	45
المطلب الثاني: ثورة جيلدون	50
المطلب الثالث: ثورة فيرموس	52
الفصل الثالث: نتائج زوال الإمبراطورية الرومانية ببلاد المغرب القديم	
المبحث الأول انعكاسات نهاية الوجود الروماني على بلاد المغرب القديم	56

المطلب الأول: في المجال الاقتصادي	56
المطلب الثاني: في المجال الاجتماعي	66
المطلب الثالث: في المجال الديني	72
المبحث الثاني: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم سنة(429)	77
المطلب الأول: أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم	77
المطلب الثاني: سياسة الوندال في بسط سيادتهم على البلاد	79
المطلب الثالث: المقاومة المغاربية وانبعاث الإمارات المستقلة	82
الخاتمة	87
قائمة المصادر والمراجع	91
الملاحق	98

ملخص الدراسة:

يعتبر تاريخ بلاد المغرب القديم خلال حقبة الإحتلال الروماني من بين الدراسات التي لا زالت لم تتضح معالم دراسته بعد، نظرا لطول فترة الاحتلال و التي دامت ما يقارب ستة قرون (146 ق م الى 429 م)، مارست فيها الإمبراطورية الرومانية مجموعة من السياسات العسكرية ،الإقتصادية ، الإجتماعية لإحكام سيطرتها على المنطقة.

قسم الباحثون مراحل هذا الإحتلال الى مرحلتين ، من 146 قبل الميلاد الى 46 قبل الميلاد سميت ببلاد المغرب مقاطعة رومانية ، و من 46 قبل الميلاد الى 429 ميلادي ببلاد المغرب في ظل نظام البروقنصلية ، تباينت فيها السياسة الرومانية ما بين السيطرة لإحكام مناطق النفوذ إلى تهجير السكان و الأهالي من أراضيهم و منحها لجنودهم المحالين على التقاعد ، هذا ما ترتب عنه رد فعل من جانب سكان بلاد المغرب القديم تمثلت في ردود فعل معادية لهذا الاحتلال ، وكانت في شكل ثورات كان أهمها التي كانت في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي مثل ثورة الداورون الريفيون ، ثورة فيرموس و أخيه جيلدون ، إضافة إلى الحركة الدوناتية ، إذ تعتبر هاته الثورات سببا في زوال الاحتلال الروماني في المنطقة.

ترتب عن هاته الثورات عدة إنعكاسات سياسية إقتصادية ، إجتماعية ، دينية ، تباينت ما بين الإيجابية و السلبية على الطرفين و لعل أهم هاته الانعكاسات هو تراجع نفوذ الإحتلال الروماني في المنطقة ومن ثم انهاء وجوده بعد غزو آخر للمنطقة ألا و هو الاحتلال الوندالي.

Study summary :

The history of the ancient Maghreb during the era of the Roman occupation is among the studies that are still not clear, due to the long period of occupation, which lasted nearly six centuries (146 BC to 429 AD), during which the Roman Empire practiced a set of military policies, economic, social and control of the region.

The researchers divided the stages of this occupation into two phases, from 146 BC to 46 BC, which was called the Maghreb a Roman province, and from 46 BC to 429 AD in the Maghreb under the Proconsular system, in which the Roman policy varied between controlling the areas of influence to the displacement of the population And the people of their lands and granted to their retired soldiers, this is what resulted in a reaction on the part of the inhabitants of the old Maghreb represented in reactions hostile to this occupation, and it was in the form of revolutions, the most important of which was in the second half of the fourth century AD, such as the Rural Daurun revolution , the revolution of Fermus and his brother Gildon, in addition to the Donatian movement, as these revolutions are considered the cause of the demise of the Roman occupation in the region.

These revolutions resulted in several political, economic, social, and religious repercussions, which varied between positive and negative on both sides, and perhaps the most important of these repercussions is the decline in the influence of the Roman occupation in the region and then the end of its existence after another invasion of the region, which is the Vandal occupation.